فضل العلم وأخلاق أهله

وأهميته في محاربة الأخلاق الهدامة

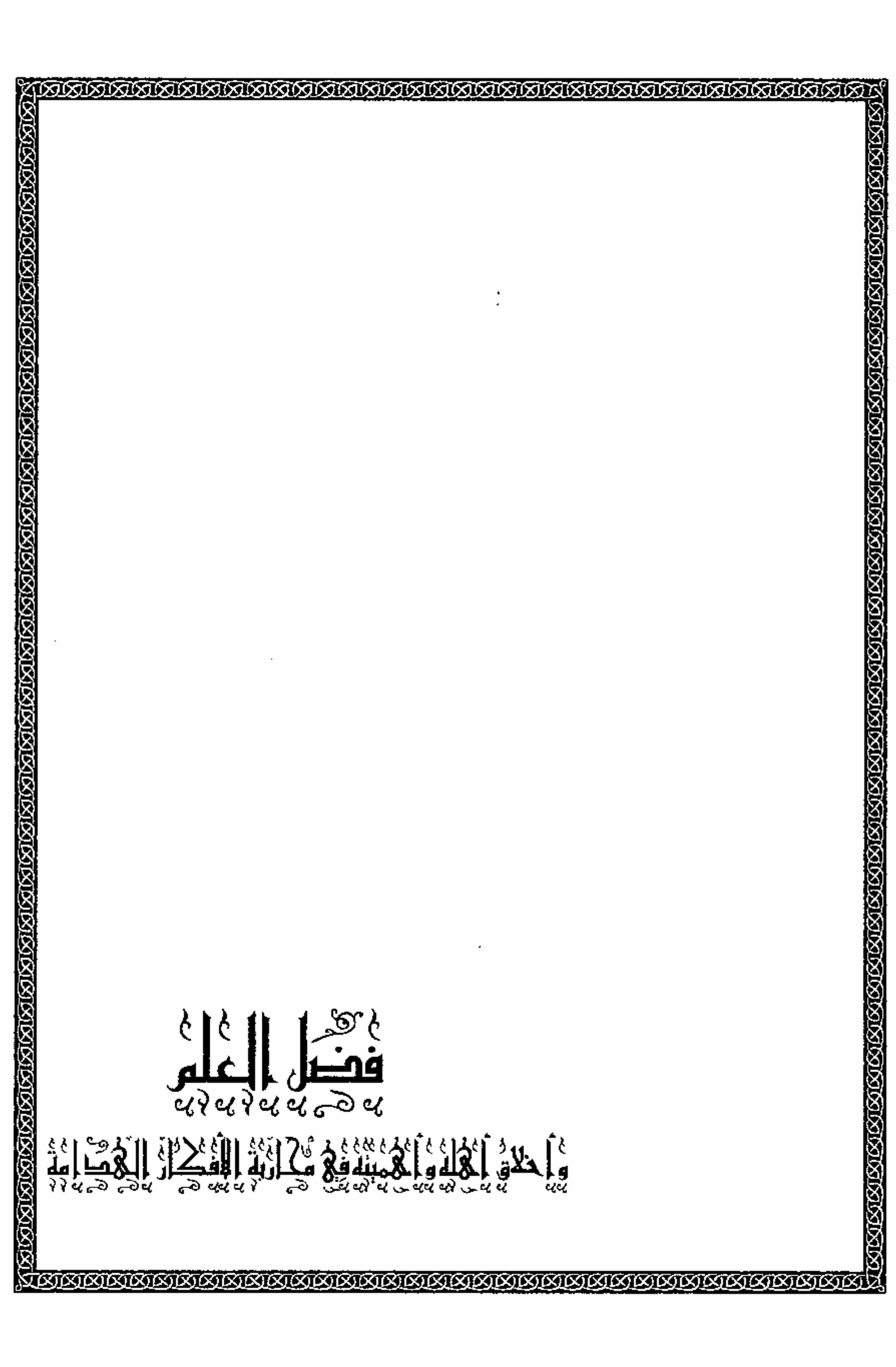
ويليه

حكم الاختلاط في التعليم

لسماحة الشيخ العلامة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز





فضل العلم

وأخلاق أهله وأهميته في محاربة الأفكار الهدامة

فضل العلم

وأخلاق أهله وأهميته في محاربة الأفكار الهدامة

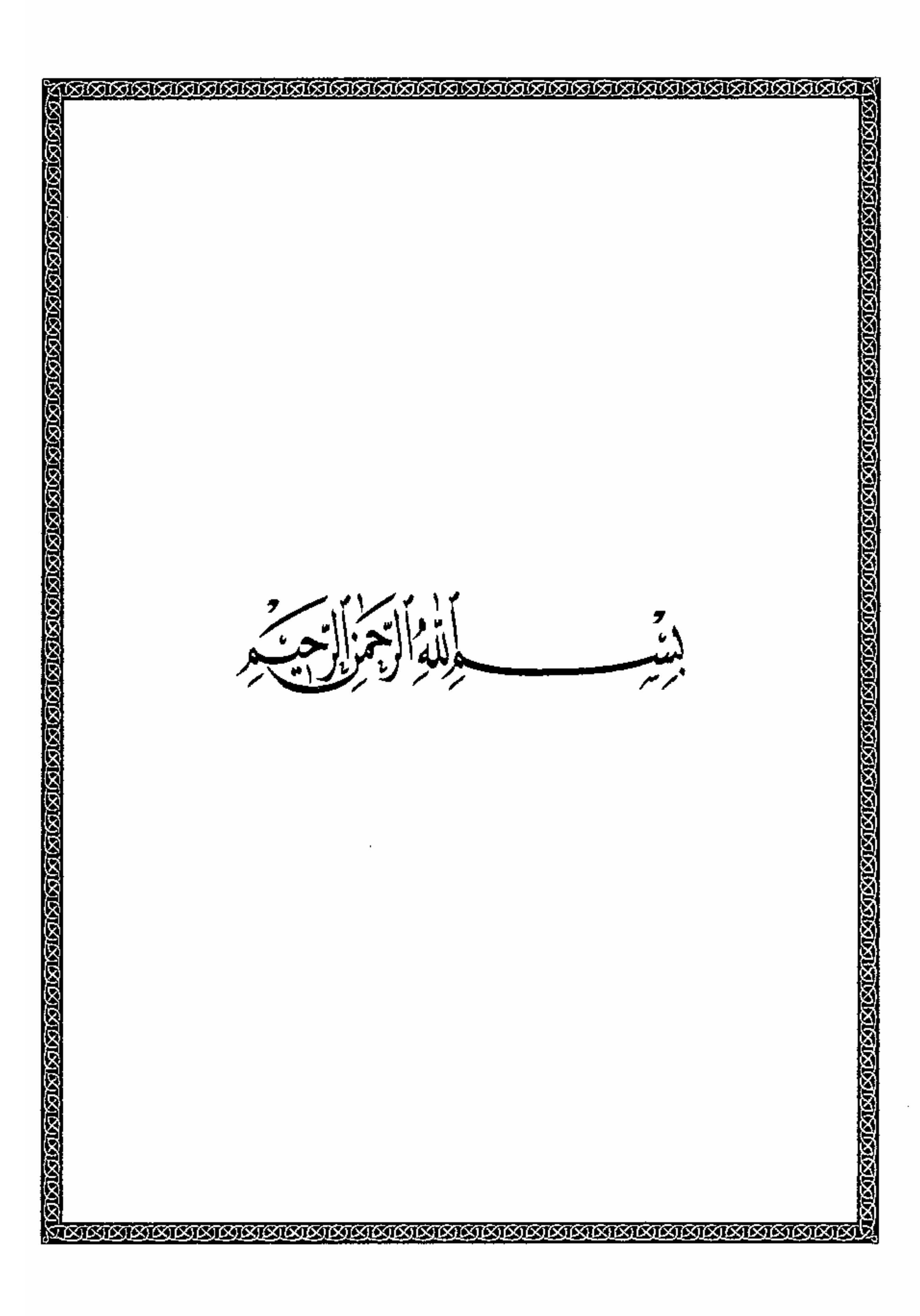
ويليه

حكم الاختلاط في التعليم

لفضيلة الشيخ الإمام العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحيــــة

الحمد لله رب العالَمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله، وصحبه أجْمَعين.

أمَّا بعد؛ فإن من خير ما بُذلت فيه الأعمار والأوقات والأموال: هو العلم بكتاب الله وسنة رسوله؛ إذ عليهما مدارُ السعادة والنجاة فِي الدُّنيا والآخرة، وإن ما يؤلف من كتب فِي الأصول والفروع والتفسير والحديث، وما يصدر من مَجلات وصُحف إسلامية إِنَّما هُوَ بيان وشرح لكتاب الله وسنة رسوله حسب اجتهاد المؤلفين والمصدرين، وحسب ما مَنحهم الله من العلم.

وحينما قامت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بإصدار مَجلة البحوث الإسلامية إِنَّما كانت تَهدف من وراء ذَلِكَ إلى بيان حكم الله فِي كثير من القضايا الَّتِي لا غنَى للمسلمين عنها، وَالَّتِي لَم يغفلها الشرع المطهر، وذلك فِي صورة بُحوث تصدر عن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية

السعودية مدعمة بالأدلة من الكتاب والسنة والإجْماع مع ما يُضاف إلى ذَلِكَ من المقالات المفيدة والبحوث النافعة الَّتِي ترد إلى الْمَجَلَّة من أهل العلم.

وإن هذه الْمَجَلَّة بِجانب زميلاتِها الْمَجَلات الإسلامية فِي الدول الإسلامية: كالْمُجتَمَع، والبلاغ، والدعوة، والاعتصام، ورابطة العالَم الإسلامي، والبعث الإسلامي، والوعي الإسلامي، ومنبر الإسلام، والإرشاد والتضامن الإسلامي وغيرها كلها تُمثل منهجًا مُلتزمًا فِي مَجال الفكر الإسلامي، وتُعبر عن يقظة ووعي إسلاميين فِي زمن اضطربت فيه الموازين، واختلت المقاييس والمعايير، وبدا الباطل وكأنه هُوَ الواقع الَّذِي لا مفر منه، وجَنَّدت قوى الباطل كل ما تَملك من وسائل اقتصادية وإعلامية وثقافية لتكون لَهَا الْهَيمَنَة والنفوذ، ولكن قوة الله أعظم: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال:٨].

إن مَجَلة البحوث الإسلامية وهي تصدر عن رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد من هذا البلد الَّذِي شرفه الله بالإسلام ووجود الحرمين الشريفين، ومنه انطلقت دعوة الإسلام إلى أرجاء الدُّنيَا لتدعو كل فكر إسلامي نَيِّر أن يُساهِمَ بالكتابة فِي

هذه الْمَجَلة، وفي الْمَجَلات الإسلامية الأخرى، وأن يردَّ عَلَى الأقلام الْمأجورة الَّتِي تُحاولُ النيلَ من الإسلام والإساءة إلى المسلمين سواءً من الأعداء أو السائرين فِي ركابِهم، وأن يوضح ما للشريعة الإسلامية من مزايا وحسنات، وما لعلماء الإسلام أولئك الذين جاهدوا بأموالِهم وأنفسهم ومؤلفاتِهم، وخدموا الشريعة خدمة جليلة، وأثْرَوا المكتبة الإسلامية بروائع إنتاجهم فِي التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والأصول، والتاريخ، واللغة العربية، والعلوم الأخرى الَّتِي اضطر الغرب للاستفادة منها وتدريسها فِي معاهده وجامعاته.

إن مَجلة البحوث الإسلامية وهي تلتقي مع قرائها لَتأمل أن تكون عَلَى المستوى المأمول فيها، وأن يستمر صدورها دون عائق مع علمنا بأن القراء الكرام سيقبلونَ العذر فِي تأخر أعدادها إذا ما رأوا الجهد المبذول فِي إخراجها، وإن كنا نود أن تَخرج فِي موعدها المقرر لَهَا، بل ونسعى جَادِّين إلى أن تَخرج كَمَا أريد لَهَا كل ثلاثة أشهر مستلهمين العون من الله تعالى.

إنَّنِي أطالبُ العلماء والمفكرين أن يَمدوا أيديهم بالكتابة فِي مَجَلَّة البحوث الإسلامية؛ إذ ما يكتبونه من جُملة زاد الْمَجَلَّة الَّذِي يَجعلها تقف عَلَى قدميها، وتَخطو الخطوات المرسومة لَهَا.

وفي الختام: أشكر كل من ساهم بقلمه وجهده ووقته فِي إخراج هذه الْمَجَلَّة الفتية، وغيرها من الْمَجَلات والصحف الإسلامية المفيدة، وأرجو لَهَا ولزميلاتِها التوفيق والنجاح، وأن يستمر عطاؤها الخَيِّر لعموم المسلمين، والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وَصَلَّى الله عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلم.



فضل العلم والفقه في الدين

الحمدُ لله رب العالَمين ... وصلى الله وسلم وبارك عَلَى نبينا مُحَمَّد عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وعلى آله وصحبه، ومن نَهج نَهجه، وسار عَلَى هديه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فإنَّ العلم بأحكام الله أمر ضروري؛ ليسير العبد المسلم فِي عبادته لربه عَلَى هدى وبصيرة، ولا يُمكن للإنسان المسلم أن يفهم دينه ويعمل به إلا إذا عرف أحكام هذا الدين، وأولاها اهتمامه وعنايته، وبذل جهده وطاقته للإلْمَام بِها؛ لتكون عبادته لربه مبنية عَلَى أساس صحيح ومتين.

ومَنْ وفَّقَه الله لِمعرفة أحكام هذا الدين والأخذ بِها فقد هُدي إلى صراط مستقيم، وحصل عَلَى خير كثير، يقول الله سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩].

قَالَ علي بن أبي طلحة: عن ابن عَبَّاس فِي قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾: «يعنِي: المعرفة بالقرآن: ناسخه ومنسوخه،

ومُحكمه ومتشابِهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»[١].

وروى جُويبر، عن الضحاك، عن ابن عَبَّاس مرفوعًا: «الحكمة القرآن، يعني تفسيره».

قَالَ ابن عَبَّاس: «فإنه قد قرأه البر والفاجر». رَوَاهُ ابن مردويه[٢].

وَقَالَ ابن أبي نُجيح: عن مُجاهد: "يعنِي بالحكمة: الإصابة فِي القول"[٣].

وَقَالَ ليث بن أبي سليم: عن مُجاهد: "﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾. ليست بالنبوة، ولكنه العلم، والفقه، والقرآن"[٤].

وَقَالَ أبو العالية: "الحكمة خشية الله، فإن خشية الله رأسُ كل حكمة"[٥].

وقد روى ابن مردويه من طريق بقية، عن عُثْمَان بن زفر الجهنِي، عن أبي عَمَّار الأسدي، عن ابن مسعود مرفوعًا: «رَأسُ

(١) انظر: تفسير الطبري (٨٩/٣).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/١).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/١).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/١).
(٥) انظر: المصدر السابق.

الْحِكْمَة مَخَافَة الله»[١].

وَقَالَ أبو العالية فِي رواية عنه: "الحكمة الكتاب والفهم"[٢].

وَقَالَ إبراهيم النخعي: "الحكمة الفهم"[٣].

وَقَالَ أبو مالك: "الحكمة السنة"[٤].

وَقَالَ وهب: عن مالك، قَالَ زيد بن أسلم: "الحكمة العقل".

قَالَ مالك: "إنَّه ليقع فِي قلبِي أن الحكمة هِيَ الفقه فِي دين الله، وأمرٌ يدخله الله فِي القلوب من رحْمَته وفضله، وممَّا يُبين ذَلكَ أنك تَجد الرَّجُل عاقلاً فِي أمر الدُّنيَا إذا نظر فيها، وتَجد آخر ضعيفًا فِي أمر دنياه، عالِمًا بأمر دينه، بصيرًا به يؤتيه الله إيَّاه ويَحرمه هذا، فالحكمة الفقه فِي دين الله" اهـ.

ولكي نُدرك أهْمِيَّة الفقه فِي دين الله، وأنه نور لِحامله والعامل به فِي الدُّنيَا والآخرة، ولكي نُدرك أهْميَّته وجدواه نَجد النَّبِي ﷺ يقول: **«مَنْ يُرِد الله بِهِ خَيْرًا يُفقِّهه فِي الدِّين»**. متفق عليه[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي فِي شعب الإيْمان (٧٤٤)، وضعفه الألبانِي فِي ضعيف الجامع (٣٠٦٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/١).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِن الْهُدَى والعِلْم، كَمَثَل غَيْث أصَابَ أرْضًا، فكَانَت مِنهَا طَائفَة طَيِّبَة قَبلَت الْمَاء؛ فَأنبَتَتْ الكَلأ والعُشْبَ الكثير، وكَانَ مِنهَا أجَادِبُ أمْسَكَت الْمَاء، فَنفعَ اللهُ بِهَا النَّاس، فَشَرَبُوا مِنهَا وسقُوا وزَرَعُوا، وأصَابَ طَائفَة أخْرَى منهَا، إنَّمَا هِيَ قِيعَان لا تُمْسِك مَاء، ولا تُنبتُ كَلأ، فَذَلك مَثَل مَن فَقه فِي دِينِ الله تَعَالَى، ونَفَعَه مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعلم وعَلَّم، وَمَثَل مَن لَم يَرفَع بذَلكَ رَأسًا، ولَمْ يَقبَلْ هُدَى الله الَّذِي أرْسِلتُ بِهِ». رَوَاهُ الْبُخَاري ومسلم[١].

ويقول ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتاهُ الله مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِه فِي الْحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ الله الْحِكْمَة فَهُو يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمهَا»[٢]. رَوَاهُ الْبُخَاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه من طرق متعددة عن إسْمَاعيل بن أبي خالد به.

ولقد برز حبر الأمة وترجُمَان القرآن الصحابي الجليل عبد الله ابن عبَّاس رضي الله عنه فِي معرفة الدين فقهًا وتفسيرًا، وتوسع بعلوم الشريعة، ووعاها ببركة دعاء رَسُول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ فَقِّههُ فِي الدِّين وَعَلِّمْهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

التَّأوِيلَ»[١]. إنَّها دعوة مباركة من رجل مبارك تقبلها الله من نبيه، ونعمة أنعم الله بِها عَلَى ابن عَبَّاس -رضي الله عنه وأرضاه-.

وبرز فِي عهده وبعده أئمة أفذاذ فِي أصول الدين وفروعه، يَحملون أمانة التبليغ والدعوة، ويؤدونَها أحسن ما يكون الأداء، ويُبَصِّرُون الناس بدين الإسلام سواء فِي حلقات الدرس والمذاكرة والإرشاد المنتشرة فِي بيوت الله، أو فيما خَلَّفوه من تراث علمي، ومؤلفات قيمة فِي شَتَّى فروع العلم الشرعي، وغيره من العلوم الأخرى الَّتِي تَخدم الشريعة وترتبط بِها، وهيأ الله ولاة صالحين يبذلون بسخاء فِي سبيل نشر العلم وتشجيع العلماء وطلاب العلم.

إنَّ التفقه فِي الإسلام وما اشتملَ عليه من أحكام يقتضي البحث والاطلاع؛ لِمعرفة حكم الله فِي كل قضية تعرض للمسلم فِي حياته، فلا يتجاوز هذه القضية دون بَحث واستقصاء؛ ليصلَ إلى الحكم بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والإجْمَاع والقياس الجلي.

والدين الإسلامي -بِحمد الله- واضح لا غموض فيه، ولا

(١) أخرجه بِهذا اللفظ: أحْمَد فِي المسند (٢٣٩٣) من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وهو عِنْد: البخاري (٢٤٧٧) دون قوله: «وَعَلِّمهُ التَّأوِيلَ».

التباس فِي أحكامه وتشريعاته، قد بَيَّنها الله فِي كتابه المبين وسنة رسوله الكريْم ﷺ، وَحَمَل لواء هذه السنة وبينها ونافح عنها صحابة رَسُول الله ﷺ، والتابعون، وسلف الأمة، وأئمة الشريعة وعلماؤها جيلاً بعد جيل، ثُمَّ تَقَاعَس الكثير من الناس عن البحث والطلب والتحصيل، واكتفوا بالتقليد لغيرهم؛ فوقعوا فِي أغلاط كثيرة فِي العقيدة والأحكام.

ولقد أمرنا الله أن نسأله الْهِدَاية إلى الصراط المستقيم: وهو طريق المنعم عليهم من: النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالِحين الذين علموا فعملوا.

وأن يُجنبنا طريق المغضوب عليهم: وهم الذين عرفوا الحق، واتبعوا أهواءهم، وهم اليهود ومن عَلَى شاكلتهم.

وأن يُجنبنا طريق الضالين: وهم الذين جهلوا الحق، وهم النصارى ومن عَلَى شاكلتهم.

أيها الإخوة المسلمون: كيف نعرف أن هذا الماء طاهر أو نَجس؟ أو أن هذا الشراب أو الطعام أو الإناء أو الصيد أو السوار أو اللباس مُباح، أو حرام، أو مكروه، أو مُستحب؟ كيف نعرف أن اقتناء هذا المال أو إنفاقه حلال أو حرام؟ كيف نَهْتدي إلى العبادات؟

نعرف أوقاتَها وطريقة أدائها، كيف نعرف قسمة المواريث والفرائض؟ كيف تُقام الحدود؟ وكيف نُقيم المعاملات فيما بيننا؟ ... إلى غير ذَلِكَ من تفاصيل العبادات والمعاملات، وما يُسمى اليوم بالأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق وغيرهِما، وقد استوعبت ذَلِكَ كلّه شريعتنا المطهرة، ولله الْحمد.

إن دين الإسلام الحنيف قد أكمله الله، وما من شأن من شئون الدُّنيَا والآخرة إلا وفي هذا الدين له حكم وبيان واضح جلي، فهو دين كامل شامل ليس قاصرًا عَلَى النواحي التعبدية، ولا شأن له بالنواحي المعاشية كما يرميه بذلك أعداؤه ومن نَهج نَهجهم.

إن دين الإسلام يربط المخلوق بِخالقه برباط متين، كما يُقيم أفضل علاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، قائمة عَلَى الْمَحَبَّة والترابط والتسامح والتعاون عَلَى البر والتقوى ... أوضح كيف تعامل الحيوان الأعجم بالرفق والرحْمة والإحسان، قبل أن تتظاهر أوربا بالرفق بالحيوان من خلال جَمعيات أنشأتْها لِهذا الغرض، وهي لَم ترفق بعد بالإنسان، ولَم ترعَ حقوقه ...

فالواجب عَلَى المسلمين التفقه فِي دينهم، وألا يتجاوزوا حدود ما أنزلَ الله، وأن يَحرصوا عَلَى فهم أحكام دينهم قبل أي

شيء، فإن بعض الناس -هداهم الله ووفقهم- قد يُحيط بعلوم كثيرة من علوم الحياة ويبرز فيها، ولكنه لا يعلم شيئًا من أحكام دينه وأسرار شريعته، وهذا هُوَ الجهل الفاضح والمصيبة العظمى، فإن العلم بأحكام الله يَجب أن يكون مُقَدمًا عَلَى المعارف الأخرى، ولا مانع من التزود بالعلوم والمعارف الأخرى، ولكن لابد من تقديْم الأصل الأصيل والركيزة الأساسية للعلوم كلها: وهو معرفة الدين عقيدة، وسلوكًا، وعبادة، وأحكامًا، مِمَّا لا يسع المسلم جَهله.

كما أن الواجب عَلَى المسلمين أن يتمسكوا بدينهم بصدق، ويتقبلوا ما يأمرهم به فيعملوا به ويطبقوه فِي شئون حياتهم كلها دون تَمييز، وليعلموا أنَّهم إن فعلوا ذَلكَ سيسعدون ويُفلحونَ فِي الدُّنيَا والآخرة، وهذه الأمة شَرَّفَها الله بِهذا الدين وأعزها به، فإذا تَخاذلت عن ذَلكَ فلا قيمة لَهَا، ولا عزة ولا سعادة.

فنسأل الله أن يوفقنا والمسلمين جَميعًا لِمَا فيه رضاه، وأن يعيذنا جَميعًا من مضلات الفتَن، ومن شرور أنفسنا، وسيئات أعمالِنا، إنه ولي ذَلكَ والقادر عليه.

وَصَلَّى الله وسَلم عَلَى عَبْدِه ورَسُوله نبينا مُحَمَّد وآله وأصحابه.

العلم وأخلاق أهله

الْحمدُ لله رب العالَمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام عَلَى عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأمينه عَلَى وحيه نبينا وإمامنا مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيله إلى يوم الدين ...

أمَّا بعد؛ فإن العلم معلوم لدى الْجميع فضله، وأن أشرف شيء يطلبه الطالبون، ويسعى فِي تَحصيله الراغبون هُوَ العلم الشرعي، فإن العلم يطلق عَلَى أشياء كثيرة، ولكن عِنْد علماء الإسلام المراد بالعلم هُوَ العلم الشرعي، وهو المراد فِي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عِنْد الإطلاق: وهو العلم بالله وبأسْمَائه وصفاته، والعلم بِحقه عَلَى عباده، وبِما شرعه لَهم ﷻ، والعلم بالطريق والصراط الموصل إليه وتفاصيله، والعلم بالغاية والنهاية الَّتِي ينتهي إليها العباد فِي الدار الأخرى.

هذا العلم الشرعي: هُوَ أفضل العلوم، وهو الجدير بالطلب والحرص عَلَى تَحصيله؛ لأنه به يُعرف الله ﷻ، وبه يُعبد، وبِهذا العلم يُعرف ما أحل الله، وما حَرَّم وما يُرضيه وما يسخطه.

وبِهذا العلم يعرف المصير إليه والنهاية من هذه الحياة، وأن قسمًا من هؤلاء المكلفين ينتهون إلى الجنة والسعادة، وأن الآخرين -وهم الأكثرون- ينتهونَ إلى دار الْهَوَان والشقاء.

وقد نبَّه أهل العلم عَلَى هذا، وبينوا أن العلم يَنحصر فِي هذا المعنَى، ومِمَّن نبَّه عليه القاضي ابن أبي العز شارح الطحاوية فِي أول شرحه، ونبه عليه غيره كابن القيم، وشيخ الإسلام بن تيمية وجَماعة آخرين.

وهو واضح -أي: العلم- ويتفاوت فِي الفضل بِحسب متعلقاته، فأفضله وأعظمه وأشرفه ما يتعلق بالله وأسْمائه وصفاته: وهو علم العقيدة، فإن الله -جل وعلا- له المثل الأعلى ﷻ، وهو الوصف الأعلى من جَميع الوجوه فِي ذاته وأسْمَائه وصفاته وأفعاله.

ثُمَّ يلي ذَلِكَ ما يَتَعلَّق بِحقه عَلَى عباده، وما شرعه من الأحكام، وما ينتهي إليه العاملون.

ثُمَّ ما يتبع ذَلِكَ مِمَّا يعين عليه، ويوصل إليه من علم قواعد العربية والمصطلحات الإسلامية فِي أصول الفقه، ومصطلح الحديث، وفِي غير ذَلِكَ مِمَّا يتعلق بذلك العلم ويُعين عليه، وعلى فهمه، والكمال فيه.

ويلتحق بذلك علم السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وتراجم رجال الحديث وأئمة الإسلام، ويلتحق بذلك كل ما له صلة بهذا العلم.

وقد شرف الله أهل هذا العلم، ونَوَّه بِهم، وعظم شأنهم سبحانه، واستشهدهم عَلَى توحيده والإخلاص له حيث قَالَ ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

فاستشهد أهل العلم عَلَى وحدانيته مع الملائكة، فالملائكة -عليهم السلام- وأولو العلم الشرعي هُم الشهداء عَلَى توحيد الله والإخلاص له، وأنه رب العالَمين، وأنه الإله الحق، وأنَّ العبادة لغيره باطلة، وكفى بِها شرفًا لأهل العلم، حيث استشهدهم عَلَى وحدانيته واستحقاقه فِي العبادة سبحانه وتعالى.

وبيَّن -جل وعلا- أنَّهم لا يستوون مع غيرهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩].

ويقول ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد:١٩].

فلا يستوي هؤلاء وهؤلاء، لا يستوي من يعلم أن ما أنزل الله هُوَ الحق وهو الْهُدى، وهو طريق السعادة، مع الذين قد عموا عن هذا الطريق، وعن هذا العلم، فرق عظيم بين هؤلاء وهؤلاء، فرق بين من عرف الحق، واستضاء بنوره، وسار عَلَى هُداه إلى أن لقي ربه، وفازَ بالكرامة والسعادة، وبين من عمي عن هذا الطريق، واتبع هواه، وسار فِي طريق الشيطان والْهَوى، لا يستوي هؤلاء وهؤلاء.

وقد بَيَّن الله سبحانه أنه يرفع درجات أهل العلم، وما ذَلِكَ إلا لعظيم آثارهم فِي الناس، ونفعهم لَهم.

ولِهذا قَالَ أهلُ العلم: "ما أحسن أثرهم عَلَى الناس، وما أقبح آثار الناس عليهم".

فآثارهم بتوجيه الناس إلى الخير، وإرشادهم إلى الحق، وتوصيلهم للهدى -وهي آثار عظيمة- شكرها الله لَهم، وشكرها المؤمنون وعلى رأسهم الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

فهم الْهُدَاة والدعاة، وهم أعلم الناس بالله وبشريعته، وأفضل الناس بعد الرسل وأتبعهم لَهم، وأعلمهم بِمَا جاءوا به، وأكملهم دعوةً إليه، وصبرًا عليه، وإرشادًا إليه، قَالَ -جل وعلا-: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [الْمُجَادلة:١١].

وَقَالَ تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ [الأنعام:٨٣].

وَبَيَّن ﷻ أنَّ أهل العلم هُم الذين يَخشونه عَلَى الحقيقة والكمال، وإن كانت الخشية موجودة من المؤمنين عمومًا، ومن بعض الآخرين، ولكن خشية الله عَلَى الكمال والحقيقة للعلماء، وعلى رأسهم الرسل -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر:٢٨]. يعني: الخشية الكاملة.

والعلماء: هُم العارفون بالله وبأسْمَائه وبصفاته، وبشريعته الَّتِي بعث بِها رسله؛ ولِهذا قَالَ نبينا مُحَمَّد -عليه الصلاة والسلام- لَمَّا قَالَ له بعض الناس مستقلاً العلم الَّذِي أرشده إليه: «لسنا مثلك يا رَسُول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قَالَ: **أمَا والله إنِّي لأخْشَاكُم لله، وأتقَاكُم له**»[1].

فالعلماء بالله وبدينه وبأسْمائه وصفاته هُم أخشى الناس لله، وأقوى الناس فِي الحق عَلَى حسب علمهم به، وعلى حسب درجاتِهم فِي ذَلِكَ، وأعلاهم فِي هذا وأكملهم فيه هُم الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فهم أخشى الناس لله، وأتقاهُم له، وقد جاءت الأحاديث

---

(١) أخرجه مسلم (١١٠٨) من حديث عُمَر بن أبي سلمة رضي الله عنه.

عن رَسُول الله فِي بيان فضل العلم، وتكاثرت فِي ذَلِكَ.

فمن ذَلِكَ قوله -عليه الصلاة والسلام-: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّل الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّة»**[١]. خَرَّجه مُسْلِم فِي صحيحه -رَحِمَهُ الله-، فهذا يدلنا عَلَى أن طلاب العلم عَلَى خير عظيم، وأَنَّهم عَلَى طريق نَجاة وسعادة لِمن أصلحَ نيته فِي طلب العلم، وابتغى به وجه الله ﷻ.

وقصد العلم لنفس العلم وللعمل، لا لأجل الرياء والسمعة، أو لأجل مقاصد أخرى من المقاصد العاجلة، وإِنَّما يتعلمه لِمعرفة دينه، والبصيرة بِما أوجب الله عليه، وليسعى فِي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فيعلم ويعمل ويعلِّم غيره، من المقاصد الحسنة الَّتِي أُمر المسلم بِها.

فكل طريق يسلكه فِي طلب العلم فهو طريق إلى الجنة ويعم ذَلِكَ جَميع الطرق الحسية والمعنوية: فسفره من بلاد إلى بلاد أخرى، وانتقاله من حلقة إلى حلقة، ومن مسجد إلى مسجد بقصد طلب العلم، فهذا كله من الطرق لتحصيل العلم، وهكذا المذاكرة فِي كتب العلم والمطالعة والكتابة، كلها من الطرق أيضًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فجديرٌ بالطالب أن يعنَى بجميع الطرق الموصلة إلى العلم، وأن يَحرص عليها قاصدًا وجه ربه ﷻ، يريد الله والدار الآخرة، يريد أن يتفقه في دينه، وأن يتبصر به، يريد أن يعرف ما أوجبَ الله عليه، وما حَرَّم عليه، يريد أن يعرف ربه عَلَى بصيرة وبيِّنة، ثُمَّ يعمل بذلك، يريد أن يُنقذ النَّاس، ويكون من دعاة الْهُدى، وأنصار الحق، ومرشدًا إلى الله عَلَى علم وهُدى، فهو حيثما تصرف عَلَى خير عظيم بهذه النية الصالحة، حتَّى نومه من طرق الجنة إذا نام؛ ليتقوى عَلَى طلب العلم، وأداء الدرس كما ينبغي؛ ليتقوى عَلَى حفظ كتاب في العلم، ليتقوى عَلَى السفر في طلب العلم، فنومه عبادة، وتصرفاته الأخرى بهذه النية عبادة.

بخلاف من ساءت نيته؛ فهو عَلَى خطر عظيم، جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قَالَ: «**مَنْ تَعَلَّم عِلْمًا مِمَّا يُبتَغَى بِهِ وَجْه الله، لا يَتعَلَّمَه إلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِن الدُّنيَا؛ لَم يَجِدْ عُرفَ الْجَنَّة**»[1]. رَوَاهُ أبو داود -رَحِمَهُ الله- بإسناد جيد، وهذا وعيد عظيم لمن ساءت نيته.

وروي عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قَالَ: «**مَنْ تَعَلَّم العِلْمَ**

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٩).

لِيُبَاهِي بِهِ العُلَمَاء، أو لِيُمَارِي بِهِ السُّفَهَاء، أو لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوه النَّاس إليه فَالنَّار النَّار»[١].

وتَعَلُّم العلم يكون بِمعرفته والعمل به لله؛ لأن الله أمر بذلك، وجعله وسيلة لِمعرفة الحق، وجاء فِي الحديث الصحيح: «**إنَّ أوَّل مَنْ تُسَعَّر بِهم النَّار ثَلاثَة ...**». مِنهُم الَّذي طلب العلم وقرأ القرآن لغير الله، لِيُقال: هُوَ عالِم ولِيُقال له: قارئ[٢] ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله.

فعليك يا عبد الله أيُّها الطالب للعلم: عليك بإخلاص العبادة والنية لله وحده، وعليك بالجد والنشاط فِي سلوك طرق العلم والصبر عليها، ثُمَّ العمل بِمقتضى العلم، فإن المقصود هُوَ العمل، وليس المقصود هُوَ أن تكون عالِمًا أو تُعطى شهادة راقية فِي العلم، فإن المقصود من وراء ذَلِكَ كله هُوَ أن تعمل بعلمك، وأن توجه الناس إلى الخير، وأن تكون من خلفاء الرسل -عليهم الصلاة والسلام- فِي الدعوة إلى الحق.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث كعب بن مالك ﷺ: (٢٦٥٤)، وابن ماجه: (٢٥٣) من حديث ابن عُمَر ﷺ، وصححه الألباني فِي صحيح الجامع (٦٣٨٢، ٦٣٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقد قَالَ -عليه الصلاة والسلام- فِي الحديث الصحيح: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهه فِي الدِّينِ**». متفقٌ عَلَى صحته[1].

فهذا يدل عَلَى فضل العلم، وأنه من علامات الخير والسعادة، ومن علامات التوفيق، وأنَّ الله أراد بالعبد خيرًا أن يُفقهه فِي دينه، وأن يتبصر فِي ذَلِكَ حتَّى يعرف الحق من الباطل، والْهُدى من الضلال، وحتَّى يعرف ربه بأسمائه وصفاته، وعظيم حقه، وحتَّى يعرف النهاية لأولياء الله ولأعدائه.

فالنهاية لأولياء الله: الجنة والسعادة بِجوار الرب الكريْم، والنظر إلى وجهه ﷻ، فِي دار الكرامة.

والنهاية لأعداء الله: دار النكال والعذاب والْهَوَان، والْحِجَاب عن الله ﷯.

وبِهذا نعلم عظم العلم وشرفه، وأنه أفضل شيء وأشرفه لِمن أصلح الله نيته؛ لأنه يتوصَّل به إلى معرفة أفضل واجب، وأعظم واجب: وهو توحيد الله والإخلاص له، ويتوصَّل به أيضًا إلى معرفة أحكام الله وما أوجبَ عَلَى عباده، فهو واجب عظيم يوصل إلى أداء واجبات عظيمة، لإسعاده للعباد، ولا نَجاة لَهم إلا

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية ﷺ.

بالله ثُمَّ بالعلم بِها، والتمسك بِها والاستقامة عليها.

والعلماء الذين أظهروا العلم هُم خيرة الناس، وأفضلهم عَلَى وجه الأرض، وعلى رأسهم أئمتهم الرسل -عليهم الصلاة والسلام- والأنبياء فهم القدوة، وهم الأساس فِي الدعوة والعلم والفضل، ويليهم أهل العلم عَلَى طبقات، فكل من كَانَ أعلم بالله وبأسْمَائه وصفاته، وأكمل فِي العمل والدعوة كَانَ أقرب الناس من الرسل، ومن درجاتِهم ومنازِلهم فِي الجنة.

فأهل العلم هُم أئمة هذه الأرض ونورها وسُرُجها، وهم أولى بِها من غيرهم، يرشدونَ الناس إلى طريق السعادة، ويَهدونَهم إلى أسباب النجاة، ويقودونَهم إلى ما فيه رضا الله -جلَّ وعلا-، والوصول إلى كرامته، والبعد عن أسباب غضبه وعذابه.

فالعلماء هُم ورثة الأنبياء، وهم أئمة الناس بعد الأنبياء، يَهدون إلى الله، ويرشدونَ إليه، ويعلمون الناس دينهم، فأخلاقهم عظيمة، وصفاتُهم حَميدة، علماء الحق، علماء الْهُدى، خلفاء الرسل، الذين يَخشون الله، ويراقبونه ويُعظمون أمره، وهو من تعظيمه سبحانه.

هؤلاء أخلاقهم أرفع الأخلاق وأسْمَاها؛ لأنَّهم سلكوا مسلك الرسل، وساروا عَلَى نَهجهم وطريقهم فِي الدعوة إلى الله عَلَى

بصيرة، والتحذير من أسباب غضبه، والْمُسَارَعَة إلى ما عرفوا من الخير قولاً وعملاً، والابتعاد عمَّا عرفوا من الشر قولاً وعملاً، فهم القدوة والأسوة -بعد الأنبياء- في أخلاقهم العظيمة، وصفاتهم الحميدة، وأعمالِهم الجليلة، وهم يعملونَ ويعلمون ويوجهون طلاَبَهم إلى أسْمَى الأخلاق وخير السبل.

وسبق أن العلم: قَالَ الله، قَالَ رسوله، هذا هُوَ العلم الشرعي، هُوَ العلم بكتاب الله وسنة رسولهﷺ، وما يُعين عَلَى ذَلكَ.

فالواجب عَلَى أهل العلم، أن يتمسكوا بهذا الأساس العظيم، وأن يدعوا الناس إليه، وأن يُوجهوا طلاَبَهم إليه، وأن يكون الْهدفُ دائمًا العلم بِمَا قَالَ الله وَقَالَ رسوله، والعمل بذلك، وتوجيه الناس وإرشادهم إلى ذَلكَ.

ولا يَجوز التفرق والاختلاف، ولا الدعوة إلى حزب فلان وحزب فلان، ورأي فلان وقول علان، وإِنَّما الواجب أن تكون الدعوة واحدة إلى الله ورسوله، إلى كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، لا إلى مذهب فلان، أو دعوة علان، ولا إلى الحزب الفلاني والرأي الفلاني.

يَجب عَلَى المسلمين أن تكون طريقتهم واحدة وهدفهم واحدًا، وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

وأمَّا ما جرى من الاختلاف بين أهل العلم فِي المذاهب الأربعة وغيرها، فالواجب أن يؤخذ منه ما هُوَ أقرب إلى الصواب، وهو القول الَّذِي هُوَ أقرب إلى ما قاله الله ورسوله نصًّا، أو بِمقتضى قواعد الشريعة.

فإن الأئمة الْمُجْتَهِدين إنَّما هدفهم ذَلِكَ، وقبلهم الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وهم الأئمة بعد الرسول ﷺ، فهم أعلم الناس بالله، وأفضلهم وأكملهم علمًا وخلقًا، فقد كانوا يَختلفونَ فِي بعض المسائل، ولكن دعوتُهم واحدة، وطريقهم واحد، يدعون إلى كتاب الله وسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

وهكذا مَنْ بعدهم مِن التابعين، وأتباع التابعين: كالإمام مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحْمَد وغيرهم من أئمة الْهُدَى: كالأوزاعي، والثوري، وابن عُيينة، وإسحاق بن راهويه، وأشباههم من أهل العلم والإيْمان، دعوتُهم واحدة، وهي الدعوة إلى كتاب الله، وسنة الرسول ﷺ، وكانوا ينهون أتباعهم عن تقليدهم، ويقولون: "خذوا من حيث أخذنا". يعنون: من الكتاب والسنة.

ومَنْ جهل الْحَقَّ وجب عليه أن يسأل أهل العلم المعروفين بالعلم والفضل، وحسن العقيدة والسيرة، ويتبصر فِي ذَلِكَ، مع تقدير

العلماء، ومعرفة فضلهم، والدعاء لَهم بِمزيد من التوفيق وعظيم الأجر؛ لأنَّهم سبقوا إلى الخير العظيم، وعلموا وأرشدوا وأوضحوا الطريق، فرحْمَة الله عليهم، فلهم فضل السبق، وفضل علمهم ودعوتهم إلى الله: من الصحابة ومَنْ بعدهم من أهل العلم والإيْمان.

فيعرف لَهم قدرهم وفضلهم، ويترحم عليهم، ويتأسى بِهم فِي النشاط فِي العلم والدعوة إلى الله، وتقديْم ما قاله الله ورسوله عَلَى غيره، والصبر عَلَى ذَلِكَ، والْمُسَارَعَة إلى العمل الصالِح، ويتأسَّى بِهم فِي هذه الفضائل العظيمة، ويترحَّم عليهم، ولكن لا يَجوز أبدًا أن يتعصب لواحد منهم مطلقًا، وأن يُقال: قوله هُوَ الصواب مطلقًا. بل يُقال: كل واحد قد يُخطئ ويُصيب.

والصواب فيما وافق ما قاله الله ورسوله، وما دلَّ عليه شرع الله من طريق الكتاب والسنة، وإجْمَاع أهل العلم، فإذا اختلفوا وجب الرد إلى الله ورسوله، كما قَالَ ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]. هكذا قال أهل العلم قديْمًا وحديثًا.

ولا يَجوز أبدًا التعصُّب لزيد أو عمرو، ولا لرأي فلان أو

علان، ولا لِحزب فلان أو الطريقة الفلانية، أو الجماعة الفلانية، كل هذا من الأخطاء الجديدة، الّتِي وقع فيها كثير من الناس.

فيجب أن يكون المسلمون هدفهم واحد وهو: اتباع كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- فِي جَميع الأحوال فِي الشدة والرخاء، فِي العسر واليسر، فِي السفر والإقامة، وفي جَميع الأحوال، وعند اختلاف أهل العلم ينظر فِي أقوالِهم، ويؤيد منها ما وافق الدليل من دون تعصب لأحد من الناس.

أمَّا العامة وأشباه العامة فيسألونَ أهل العلم، ويتحرَّون فِي أهل العلم من هُوَ أقرب إلى الخير وأقرب إلى السداد والاستقامة، يسألونه عن شرع الله، وهو يعلمهم بذلك، ويرشدهم إلى الحق حسب ما جاء فِي الكتاب والسنة، وأجْمَعَ عليه أهلُ العلم.

والعالِم يُعرف بصبره وتقواه لله، وخشيته له ﷻ، ومسارعته إلى ما أوجبَ الله ورسوله، وابتعاده عمَّا حرَّم الله ورسوله.

هكذا يكون العالِم سواء كَانَ مُدرسًا أو قاضيًا أو داعيًا إلى الله أو فِي أي عمل، فواجبه أن يكون قدوة فِي الخير، وأن يكون أسوة فِي الصالِحات، يعمل بعلمه، ويتقي الله أينما كَانَ، ويرشدُ الناس إلى الخير، حتَّى يكون قدوة صالِحة لطلابه، ولأهل بيته،

وجيرانه، ولغيرهم مِمَّن عرفه، يتأسونَ به: بأقواله، وأعماله الموافقة شرع الله ﷻ.

وعلى طالب العلم أن يَحذر غاية الحذر من التساهل فيما أوجب الله، أو الوقوع فيما حرَّم الله، فإنه يُتأسى به فِي ذَلِكَ، فإذا تساهل تساهل غيره، وهكذا فِي السنة والمكروهات، ينبغي له أن يَحرص عَلَى تَحَرِّي السُّنن، وإن كانت غير واجبة؛ ليعتادها ويتأسى الناس به فيها، وأن يبتعد عن المكروهات والمشتبهات؛ حتَّى لا يتأسى به الناس فيها.

فطالبُ العلم له شأنٌ عظيم، وأهل العلم هُم الخلاصة فِي هذا الوجود، فعليهم من الواجبات والرعاية ما ليس عَلَى غيرهم، يقول الرسول ﷺ: **«كُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسْئُول عَنْ رَعِيَّته»**[1].

فأهل العلم رعاة وهُداة، فعليهم أن يعنوا برعيتهم، الشعوب رعية لَهم، فعليهم أن يعنوا بِهذه الرعيَّة، وأن يَخافوا الله فيها، وأن يرشدوها إلى أسباب النجاة، ويُحذروها من أسباب الْهَلاك، وأن يَغرسوا فيما بينهم حب الله ورسوله، والاستقامة عَلَى دين الله، والشوق إلى الله وإلى جنته وكرامته، والحذر من النار؛ فالنار بئس المصير،

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عُمَر رضي الله عنهما.

يَجبُ الحذر منها، والتحذير منها، وأولى الناس بِهذا الأمر هُم العلماء، وطلاب العلم، هكذا يكون حالُهم أبدًا.

وهكذا تكون أخلاقُهم أبدًا، مسارعة إلى مرضاة الله، وابتعاد عن معاصي الله، ودعوة إلى الله، وإرشاد إليه، ووقوف عِنْد حدوده، وأخذ بالأحوط دائمًا، وبعد عَمَّا حَرَّم الله، وعَمَّا كرهه الله، حتَّى يتأسى بِهم إخوانُهم من المؤمنين، وحتَّى يتأثر بِهم المسلمون أينما كانوا.

وأسألُ الله ﷻ بأسْمَائه الحسنَى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم إلى ما يُرضيه، وأن يُصلح قلوبنا وأعمالنا جَميعًا، وأن يَجعلنا وإيَّاكم هُداة مهتدين، وصالِحين مُصلحين، كما أسأله سبحانه أن يَنْصُرَ دينه، ويُعلي كلمته، ويوفق ولاة أمر المسلمين لكل ما فيه رضاه، وصلاح العباد والبلاد، وأن يُصلح لَهم البطانة، وأن يَمُنَّ عليهم بتحكيم شريعة الله بين عباده والتحاكم إليها، ونبذ ما خالفها.

أمَّا العلوم الأخرى: فلها شأنٌ آخر من استخراج المعادن، وشئون الزراعة والفلاحة، وسائر أنواع الصناعات النافعة، وقد يَجب منها ما يَحتاجه المسلمون، ويكون فرض كفاية، ولولِي الأمر فيها أن يأمر بِمَا يَحتاجه المسلمون، ويساعد أهلها فِي ذَلِكَ، أي: بِمَا يعينهم عَلَى نفع المسلمين، والإعداد لعدوهم.

وعلى حسب نية العبد تكون أعماله عبادة لله ﷻ متَى صلحت النية وخلصت لله، وإذا فعلها بدون نية كانت من المباحات، أعنِي: أنواع الصناعات المباحة، واستخراج المعادن، والزراعة، والفلاحة وغير ذَلِكَ.

وكلها أمور مطلوبة، ومع صلاح النية تكون عبادة، ومع خلوها من ذَلِكَ تكون أمورًا مُباحة، وقد تكون فرض كفاية فِي بعض الأحيان إذا دعت الحاجة إليها، ووجب عَلَى ولي الأمر أن يُلزمَ بذلك من هُوَ أهلٌ لَهَا، فهي أمور لَهَا شأنُها، وَلَها أحوالُها الداعية إليها، وتَختلف بِحسب النية، وبِحسب الحاجة.

أمَّا علم الشرع: فلابد منه، والله خلق الثَّقلين؛ ليعبدوه وليتقوه، ولا سبيلَ إلى هذا إلا بعلم الشرع، علم الكتاب والسنة كما تقدَّم.

فعلى طلبة العلم التفقه فِي الدين، وتعلم أحكام الله والتبصر فِي ذَلِكَ، ومعرفة العقيدة السلفية الصحيحة الَّتِي سار عليها الرسول ﷺ وصحابته ﵃، وسار عليها أتباعهم بإحسان، وهي: الإيْمان بالله ورسوله، والإيْمان بأسْمَاء الله وصفاته، وإمرارها كما جاءت عَلَى الوجه الَّذِي يليقُ بالله ﷻ، من غير تَحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تَمثيل، ولا زيادة، ولا نُقصان.

هكذا دَرَجَ أهلُ العلم عَلَى الطريقة الَّتي دَرَجَ عليها الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم أجْمَعين-، ودَرَجَ عليها أصحابُهم وأتباعهم بإحسان.

فنسألُ الله لطلبة العلم التوفيق، وأن يعينهم عَلَى كل ما فيه رضاه، وأن يَهْدي بِهم العباد، ويصلح بِهم الأحوال، إنه -جل وعلا- عَلَى كل شيء قدير.

وصَلَّى الله وَسَلم عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّد عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ، وَعَلَى آلِهِ وأصْحَابِهِ وأتبَاعِهِ بإحْسَان.



فضل العلم وشرف أهله

الْحَمْدُ لله رب العالَمين، والعاقبةُ للمتقين، والصلاةُ والسلام عَلَى عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه عَلَى وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلى يوم الدين ...

أمَّا بعد؛ فهذه كلمة موجزة فِي فضل العلم وشرف أهله:

لقد دلت الأدلة الشرعيَّة من الكتاب والسنَّة عَلَى فضل العلم والتفقه فِي الدين، وما يترتب عَلَى ذَلِكَ من الْخَير العظيم، والأجر الْجَزيل، والذكر الجميل، والعاقبة الحميدة لِمَن أصلح الله نيته، ومَنَّ عليه بالتوفيق.

والنصوص فِي هذا كثيرة معلومة، ويكفي فِي شرف العلم وأهله أن الله ﷻ استشهدهم عَلَى وحدانيته، وأخبر أنَّهم هُم الَّذين يَخشونه عَلَى الحقيقة والكمال، قَالَ تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

فاستشهد الملائكة وأولي العلم عَلَى وحدانيته سبحانه، وهم العلماء بالله، العلماء بدينه الذين يَخشونه سبحانه ويراقبونه، ويقفون عِنْد حدوده، كما قَالَ الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

ومعلوم أن كل مُسْلِم يَخشى الله، وكل مؤمن يَخشى الله، ولكن الخشية الكاملة إنَّما هيَ لأهل العلم، وعلى رأسهم الرُّسُل -عليهم الصلاة والسلام-، ثُمَّ مَنْ يليهم مِن العلماء عَلَى طبقاتهم، فالعلماء هُم ورثة الأنبياء، فالخشية لله حق، والخشية الكاملة إنَّما هِيَ من أهل العلم بالله والبصيرة به وبأسْمَائه وصفاته، وعظيم حقه ﷻ، وأرفع الناس فِي ذَلِكَ هُم الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ثُمَّ يليهم أهل العلم عَلَى اختلاف طبقاتِهم فِي علمهم بالله ودينه.

والجدير بالعالم أينما كَانَ وبطالب العلم أن يُعنَى بهذا الأمر، وأن يَخْشَى الله، وأن يُراقبه فِي كل أموره: فِي طلبه للعلم، وفي عمله بالعلم، وفي نشره للعلم، وفي كل ما يلزمه من حق الله، وحق عباده، وقد ثبت عنه ﷺ فِي الصحيحين فِي حديث مُعَاوِيَة رضي الله عنه، أنه ﷺ قَالَ: «**مَنْ يُرِد الله به خَيْرًا يُفَقِّهه فِي الدِّين**»[١].

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

وهذا الحديث العظيم له شواهد أخرى، عن عدة من الصحابة ﷺ، وهو يدل عَلَى أن من علامات الخير ودلائل السعادة أن يفقه العبد فِي دين الله، وكل طالب مُخلص فِي أي جامعة أو معهد علمي أو غيرهمَا إنَّما يريد هذا الفقه ويطلبه، ويُنشده ... فنسأل الله لَهُم فِي ذَلكَ التوفيق والْهِدَايَة، وبلوغ الغاية.

ومَنْ أعرض عن الفقه فِي الدِّين؛ فذلك من العلامات عَلَى أن الله ما أراد به الخير، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله.

يقول ﷺ فيما رَوَاهُ الشيخان، عن أبي موسى ﷺ: **«مَثَل مَا بَعَثَنِي الله به من الْهُدَى والعِلْم كَمَثَل غَيْث أصَابَ أرضًا، فكَانت مِنْهَا طَائفَة طيِّبة، قَبلَت الْمَاءَ؛ فأنبَتَتْ الكَلأ والعشبَ الكَثير، وكَان منهَا أجَادب أمْسَكَت الْمَاء فَنفَعَ الله بِهَا النَّاس، فشَرِبُوا منهَا وَسَقوا وزَرَعُوا، وأصَابَ طَائفَة منها أخْرَى، إنَّمَا هِيَ قِيعَان لا تُمْسك مَاء، ولا تُنبتُ كَلأ، فذَلكَ مَثَل مَنْ فقه فِي دِينِ الله، ونفَعَه مَا بَعَثَنِي الله به، فَعلم وعلَّم، ومَثل مَنْ لَمْ يَرفَع بذَلكَ رَأسًا، ولَمْ يَقْبَل هُدَى الله الَّذي أرْسِلْتُ بِه»**[1].

فالعلماء الذين وفقوا لِحَمْلِ هذا العلم طبقتان:

إحداهُما: حصلت العلم، ووفقت للعمل به، والتفقه فيه،

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

واستنبطت منه الأحكام؛ فصاروا حُفَّاظًا وفقهاء، نقلوا العلم وعلموه للناس، وفقهوهم فيه، وبصروهم ونفعوهم، فهم ما بين معلم ومقرئ، وما بين داع إلى الله ﷻ، ومدرس للعلم، إلى غير ذَلِكَ من وجوه التعليم والتفقيه.

أمَّا الطبقة الثانية: فهم الذين حفظوه ونقلوه لِمَنْ فَجَّر ينابيعه، واستنبطَ منه الأحكام؛ فصار للطائفتين الأجر العظيم، والثواب الجزيل، والنفع العميم للأمة.

وأمَّا أكثر الخلق فهم كالقيعان الَّتِي لا تُمسك ماءً، ولا تُنبتُ كلأً؛ لإعراضهم وغفلتهم وعدم عنايتهم بالعلم.

فالعلماء وطلبة العلم فِي دور العلم الشرعي عَلَى خير عظيم، وعلى طريق -بِحَمْد الله- مُستقيم، لِمَنْ وفقه الله لإخلاص النية، والصدق فِي الطلب.

وهنيئًا لطلبة العلم الشرعي أن يتفقهوا فِي دين الله، وأن يتبصروا فيما جاء به رَسُول الله ﷺ من الْهُدى والعلم، وأن ينافسوا فِي ذَلِكَ، وأن يصبروا عَلَى ما فِي ذَلِكَ من التعب والمشقة، فإن العلم لا ينال براحة الجسم، بل لابد من الجد والصبر والتعب.

وهذا الإمام مُسْلِم -رَحِمَهُ الله- فِي صحيحه فِي أبواب

المواقيت من كتاب الصلاة لَمَّا ساقَ عدة أسانيد ذكر فيها عن يَحيَى بن أبي كثير -رَحِمَهُ اللهُ-، أنه قَالَ: "لا يُنال العلم براحة الجسم"[1].

ومقصوده -رَحِمَهُ اللهُ- من هذا: التنبيه عَلَى أن تَحصيل العلم، والتفقه فِي الدين يَحتاج إِلَى صبر ومثابرة، وعناية، وحفظ للوقت، مع الإخلاص لله، وإرادة وجهه ﷻ.

والدور العلمية الَّتِي يدرس فيها العلم الشرعي، وهكذا المساجد الَّتِي تُقام فيها الحلقات العلمية الشرعية شأنُها عظيم، وفائدتُها كبيرة؛ لأَنَّها مُهَيأة لنفع الناس وحل مشاكلهم.

فالمتخرجونَ فيها يُرجى لَهم الخير العظيم، والفائدة الكبيرة، والنفع العام، فلا ينبغي لِمَنْ مَنَّ الله عليه بالعلم أن ينْزوي عن نفع الناس، وتفقيههم، وتذكيرهم بالله، وبِحقه وحق عباده، سواء كَانَ ذَلِكَ من طريق التدريس، أو القضاء، أو الوعظ، والتذكير، أو المذاكرة بين الزملاء والإخوان فِي الْمَجَالس العامَّة والخاصَّة، كما ينبغي لأهل العلم أن يشاركوا فِي نشر العلم عن طريق وسائل الإعلام، لعظم الفائدة فِي ذَلِكَ، ووصول العلم إِلَى ما شاء الله من أنْحَاء الأرض.

---

(١) أخرجه مسلم (٦١٢).

ومعلوم ما فِي ذَلِكَ من الخير العظيم، والنفع العام للمسلمين، وشدة الحاجة إلى ذَلِكَ فِي هذا العصر، بل فِي كل عصر، ولكن فِي هذا العصر أشد؛ لقلة العلم وكثرة دعاة الباطل.

فالواجب عَلَى مَنْ رزق العلم: أن يَتَحَمَّل المشقَّة فِي نفع الناس به قضاءً وتدريسًا ودعوة إلى الله ﷻ، وفي غير هذا من شئون المسلمين، حتَّى تَحصل الفائدة الكبيرة، والثمرة العظيمة من هذا الطلب.

وطالب العلم يَطلب العلم لينفع نفسه، ويُخَلِّصها من الجهالة، ويتقرب إلى ربه ﷻ، بِما يُرضيه عَلَى بصيرة وحسن دراية، ولينفع الناس أيضًا، ويُخرجهم من الظلمات إلى النور، ويقضي بينهم فِي مشاكلهم، ويُصلح بينهم، ويعلم جاهلهم، ويرشد ضالَّهُم، ويأمرهم بالمعروف، ويَنْهَاهُم عن المنكر إلى غير ذَلِكَ.

فطالب العلم تدخل مهمته فِي أشياء كثيرة، ولا تَنْحصرُ فِي أبواب معدودة ولاسيما القاضي؛ فإن القاضي -إن وفقه الله وصبر- تدخل وظيفته فِي أشياء كثيرة، فهو مع العلم مَحسوب، ومع القضاة مَحسوب، ومع المدرسين مَحسوب، ومع أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مَحسوب، ومع الدعاة إلى الله ﷻ، ومع الْمُصْلحين، إلى غير ذَلِكَ من شئون المسلمين.

فينبغي له أن يُهيئ نفسه لذلك، ويوطنها عَلَى تَحمل الشدائد فِي سبيل الله، وأن تكون همته عالية، كما كَانَ سلفنا الصالِح وأئمتنا -رحِمَهُم الله جَميعًا- ينفعون الناس بكل ما يستطيعون.

وإن وصيتِي لأهل العلم وطلبته، ولكل مُسْلِم ومسلمة: أن يصبروا فِي هذا الأمر، وأن يواصلوا الجهود فِي سبيل الحق، وأن يَحفظوا الوقت، وأن يُكثروا من المذاكرة بينهم فيما قد يشكل عَلَى بعضهم، حتَّى يتوافر لديهم من المعلومات ما يَحصل به الخير لَهم وللمسلمين -إن شاء الله- مع الحرص عَلَى إصلاح النية والإخلاص فِي كل ما يتقرب به العبد إلى ربه، وفي كل ما ينفع الناس.

ومن الأمور الَّتِي تنفع الناس، وتُحل بِها المشاكل، وينتشر بِها العدل توجه أهل العلم والبصيرة والخشية لله سبحانه للقضاء بين الناس وتعليمهم.

ومعلومٌ أن القضاء مِمَّا يعظم الله به الأجور، ويرفع به الدرجات، لِمن أصلح الله نيته، ومنحه العلم النافع، وقصد به الخير للمسلمين.

وهو وإن كَانَ خطيرًا، وإن كَانَ سلفنا الصالِح يهابونَه، ويَخافونه، ولكن الأحوال تَختلف، والزمان يتفاوت، والناس اليوم

في أشد الضرورة إلى العالِم، الَّذي يقضي بين الناس عَلَى بصيرة، ويَخاف الله ويراقبه فِي حل مشاكلهم.

فلا ينبغي لِمَنْ أهَّله الله للقضاء بين الناس، ومنحه العلم والبصيرة، واشتدت إليه الحاجة أن يَمتنعَ عن قبول القضاء، بل يَجب عليه أن يقبله، وأن يوطن نفسه عَلَى العمل بعلمه، وأن ينفذ ما أُريدَ منه، وأن ينفع الناس بعلمه، ويسأل ربه التوفيق والإعانة، فإن عجز بعد ذَلِكَ، ورأى من نفسه أنه لا يستطيع، أمكنه بعد ذَلِكَ أن يعتذر وأن يستقيل.

أمَّا من أول وهلة فلا ينبغي له ذَلِكَ، وهذا باب لا ينبغي لأهل العلم والإيْمان والقدرة عَلَى نفع الناس أن يفتحوه، بل ينبغي لأهل العلم أن تكون عندهم الْهِمَّة العالية والقصد الصالِح، والرغبة فِي نفع المسلمين، وحل المشاكل الَّتِي تعترض لَهم، حتَّى لا يتولَّى ذَلِكَ الجهلة.

فإنه إذا ذهب أهل العلم، تولى الجهلة، ولا شك إمَّا هذا وإمَّا هذا، فلابد للناس من قضاة يَحلون مشاكلهم، ويَحكمونَ بينهم بالحق، فإن تولى ذَلِكَ الأخيار، وإلا تولاهُ غيرهم.

فالواجب عَلَى أهل العلم، وعلى كل من يَخشى الله: أن يقدر هذا الوضع، وأن يَحتسب الأجر عِنْد الله، وأن يصبر ويتحمل

ويرجو ما عِنْد الله ﷻ من المثوبة، وقد صَحَّ عن رَسُول الله ﷺ أنه قَالَ: «**إنَّ الله لا يَقْبِضُ العِلْمَ انتِزَاعًا ينْتَزِعه مِنْ صُدُور الرِّجَال، وَلَكن يَقْبِض العِلْمَ بِمَوْت العُلَمَاء، حتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ؛ اتَّخذَ النَّاس رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فأفتوا بِغَيْر عِلْمٍ؛ فضَلُّوا وأضَلُّوا**». خَرَّجَهُ البخاري ومسلم فِي صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[1].

وبذا يعلم أهل العلم والإيْمان عظم الخطر، وسوء العاقبة، إذا فقد علماء الحق، أو تركوا الميدان لغيرهم.

ولا يَخفى أن العالِم سواء كَانَ قاضيًا أو غيره إذا اجتهد فأصابَ، فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، كما صح بذلك الحديث عن رَسُول الله ﷺ[2]، فلا خطر عليه مع الصدق والإخلاص والتحري للحق.

وإنَّما الخوف والخطر العظيم عَلَى من يَتَهَجَّم عَلَى القضاء أو الفتوى بالجهل، أو يقضي بالجور، كما فِي حديث بريدة رضي الله عنه، عن النَّبِي ﷺ أنه قَالَ: «**القُضَاةُ ثَلاثَة: قَاضِيَان فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّة، فأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّة، فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ وقَضَى به، وَرَجُلٌ عَرَفَ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

الْحَقَّ فَجَارَ؛ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى للنَّاس عَلَى جَهْلٍ؛ فَهُوَ فِي النَّارِ»[1]. أَخْرَجَهُ أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الحاكم.

أمَّا من يَتَحَرَّى الْحَقَّ، ويَجتهد فِي العمل به، ويَتَحَرَّى النفع للمسلمين فهو بين أمرين، بين أجر وأجرين كما تقدم بذلك الخبر عن رَسُول الله ﷺ.

ثُمَّ إنِي أوصي جَميع إخواني: المسلمين عامَّة، وأهل العلم وطلبته بصفة خاصَّة، ونفسي بتقوى الله ﷻ فِي كل الأمور، والعمل بالعلم بأداء فرائض الله، والبعد عن مَحارمه؛ لأن طالب العلم قدوة لغيره فيما يأتي ويذر فِي جَميع الأحوال فِي حال القضاء وغير القضاء، فِي طريقه وفي بيته، وفي اجتماعه بالناس وفي سيارته، وفي طائرته وفي جَميع الأحوال.

فهو قدوة فِي الخير، عليه أن يُراقب الله، ويعمل بِمَا علمه سبحانه، ويدعو الناس إلى الخير بقوله وعمله جَميعًا، حتَّى يتميز بين الناس، ويعرف بعلمه وفضله، وهديه الصالِح، وسيره عَلَى المنهج النبوي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢) من حديث بريدة رضي الله عنه، وصححه الألباني فِي صحيح الجامع (٤٤٤٦).

الَّذي سار عليه رَسُول الله ﷺ وصحابته الكرام ﷺ مع العناية بالتواضع وعدم التكبر.

فالعالِم وغيره عَلَى خطر عظيم، تارة من جهة الرياء، وتارة من جهة الكبر، وتارة من جهات أخرى، ومقاصد متعددة، فعليه أن يتقي الله، ويُخلص له العمل، ويُراقب الله ﷻ، فِي جَميع شئونه، ويتواضع لعباد الله، ولا يتكبر عليهم بِما أعطاهُ الله من العلم، وحرمه كثيرًا من الناس، فليشكر الله، ومِنْ شُكْرِ الله التواضع وعدم التكبر، ومن شُكْرِ الله نشر العلم فِي المساجد وفي غير المساجد.

فالقاضي يَخطب الناس إذا احتيج إليه، ويدرس طلبة العلم، ويدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف ويَنْهَى عن المنكر، ويَجتهد فِي إصلاح أحوال المسلمين، ويتصل بولاة الأمور، ويرفع إليهم ما يرى أنه من نصحهم.

فيكون دائمًا فِي مصالِح المسلمين، وفي كل ما ينفعهم، وفي كل ما يبرئ ذمته، ويرفع شأن الإسلام وأهله.

وأيضًا أوصي إخواني جَميعًا: وعلى رأسهم أهل العلم وطلبته بالقرآن الكريْم، فإنه أعظم كتاب، وأشرف كتاب، وقد حَوَى خير العلوم كلها وأنفعها كما لا يَخفى، وهو أعظم عون عَلَى

الفقه فِي الدين، والتبصر فيه، والخشية لله ﷻ، وهو المعين فِي التأسي بالأخيار.

فأوصي الجميع ونفسي بِهذا الكتاب العظيم، تدبرًا وتعقلاً وإكثارًا من تلاوته ليلاً ونَهارًا، والرجوع إليه فِي كل شيء، ومراجعة كلام أهل التفسير فيما أشكل، فهو خير مُعين عَلَى فهم كتاب الله -جل وعلا-؛ لأن هذا الكتاب هُوَ خير كتاب، وأفضل كتاب، وأصدق كتاب، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

ويقول ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

ويقول -جل وعلا-: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

ويقول سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

فجديرٌ بالمؤمنين والمؤمنات عامة، وبأهل العلم خاصة أن يولوه العناية العظيمة، وأن يعضوا عليه بالنواجذ، وأن يَجتهدوا فِي تدبره، وتعقله، والعمل به، ومراجعة كلام أهل العلم فيما أشكل، كما قَالَ الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟

ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وَقَالَ سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [مُحَمَّد: ٢٤].

ثُمَّ سنة الرسول ﷺ، والعناية بِها، وحفظ ما تَيَسَّر منها، مع إكثار المذاكرة فيها، ولاسيما ما يتعلق بالعقيدة، وما يَجب عَلَى المكلف فعله، وما يتعلق بعمل الإنسان الخاص به، فإنه به ألصق، وعنايته أوجب.

وقد قَالَ الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولا سبيل إِلَى اتباعه ﷺ عَلَى الكمال إلا بدراسة سنته، والعناية بِها مع العناية بكتاب الله ﷻ.

وأوصي أهل العلم وطلبته: بالعناية بكتب الحديث، والإكثار من قراءتِها، وتدريسها، والمذاكرة فيها، وأهمها الصحيحان، ثُمَّ بقية الكتب الستَّة مع موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحْمَد، وسنن الدارمي، وغيرها من كتب الحديث المعروفة، ضاعف الله الأجر لمؤلفيها، وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء.

ثُمَّ مؤلفات أهل العلم المعروفين بِحسن العقيدة وسعة العلم

بالأدلة الشرعية، ومنهم شيخ الإسلام بن تيمية، وتلميذاه: العلامة ابن القيم، والحافظ ابن كثير -رحْمَة الله عليهم جَميعًا-، وقد برزوا فِي ذَلِكَ، ونشروا بين المسلمين العلم الكثير، وبينوا للناس عقيدة أهل السنة والجماعة بأدلتها من الكتاب والسنة.

ومن أهم كتب شيخ الإسلام بن تيمية -رَحِمَهُ الله-: منهاج السنة، ومَجموع الفتاوى، ومطابقة صريح المعقول لصحيح المنقول، والجواب الصحيح فِي الرد عَلَى من بدل دين المسيح، وغيرها من الكتب المفيدة النافعة، والمشتملة عَلَى بيان العقيدة الصحيحة والأحكام، والرَّد عَلَى خصوم الإسلام.

ومن أفضل كتب ابن القيم -رَحِمَهُ الله-: الطرق الحكمية، وإعلام الموقعين، وزاد المعاد، فهذه الكتب لَهَا شأنٌ عظيم، ولاسيما فِي حق القضاة والمفتين.

وهكذا فتاوى أئمة الدعوة: المسماة "الدرر السنية"، فقد جَمعت رسائل كثيرة وأجوبة مفيدة لشيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب، وتلاميذه وأتباعه -رحِمهم الله جَميعًا- وهكذا فتاوى شيخنا العلامة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ -رَحِمَهُ الله-، فقد اشتملت عَلَى علم عظيم، وفوائد جَمَّة.

فأوصي بِهذه الكتب بعد كتاب الله ﷻ، وسُنَّة رسوله الكريْم ﷺ؛ لِما فيها من العلم العظيم، والعون عَلَى كل خير.

وهكذا ما أشبهها من الكتب المفيدة النافعة الَّتِي تعتنِي بالدليل مثل: المغنِي، وشرح المهذب، والْمُحَلَّى وغيرها من الكتب الَّتِي تُعنَى بالدليل ونقل أقوال أهل العلم، فهي من أهم الكتب لأهل العلم وطلبته من القضاة وغيرهم.

وأسألُ الله بأسْمَائه الْحُسْنَى، وصفاته العُلى أن يوفقنا وَجَميع المسلمين للعلم النافع، والعمل الصالِح، وأن يَمنحنا جَميعًا النية الخالصة، والصبر والفقه فِي الدين، والفوز بالعاقبة الحميدة فِي الدُّنيَا والآخرة، إنه تعالى جواد كريْم.

كما أسأله ﷻ أن يوفق ولاة أمرنا وجَميع ولاة أمر المسلمين، ويصلح بطانتهم، وأن يعينهم على كل خير، وأن ينصر بِهم الحق، ويَخذل بِهم الباطل، وأن يُعينهم عَلَى تَحكيم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ فِي كل شيء، وأن يُعيذنا وإيَّاهم وسائر المسلمين من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه سَميعٌ قريب.

وَصَلَّى الله عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّد وَعَلَى آله وَصَحْبِه وَسَلم.

أهمية العلم في محاربة الأفكار الهدامة

الْحَمْدُ لله ربِّ العالَمين، والعاقبةُ للمتقين، والصلاة والسلام عَلَى عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأمينه عَلَى وحيه نبينا مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيلهم واتبع هُداهم إلى يوم الدين.

وبعد؛ فلا ريب أن العلم هُوَ مُفتاح كل خير، وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجبَ الله، وترك ما حَرَّم الله، فإن العمل نتيجة العلم لِمَنْ وفقه الله، وهو مِمَّا يؤكد العزم عَلَى كل خير، فلا إيْمَان، ولا عمل، ولا كفاح، ولا جِهاد إلا بالعلم، فالأقوال والأعمال الَّتِي بغير علم لا قيمة لَهَا ولا نفعَ فيها، بل تكون لَهَا عواقب وخيمة، وقد تَجر إلى فساد كبير.

وإنَّما يُعبد الله، ويُؤَدَّى حقه، ويُنشر دينه، وتُحارب الأفكار الْهَدَامَة، والدعوات المضللة، والأنشطة المنحرفة بالعلم النافع، المتلقى عن كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وهكذا إنَّما تُؤدَّى الفرائض بالعلم، ويُتقى الله بالعلم، وبه تكشف الحقائق الموجودة فِي كتاب الله

ﷻ وسنة رسوله مُحَمَّد -عليه الصلاة والسلام- ..

قَالَ -جل وعلا- فِي كتابه العزيز: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

فجميع ما يقدمه أهل الباطل، وما يلبسون به فِي دعواتِهم المضللة، وفِي توجيهاتِهم لغيرهم بأنواع الباطل، أو فِي تشكيكهم غيرهم فيما جاء عن الله ﷻ، وعن رَسُول الله ﷺ - كله يندحض ويكشف بِمَا جاء عن الله ورسوله بعبارة أوضح، وبيان أكمل، أو بحُجَّة قيمة تَملأ القلوب، وتؤيد الْحَقّ.

وما ذاك إلا لأن العلم الْمَأخُوذ من الكتاب العزيز والسنَّة المطهرة علم صدر عن حكيم عليم، يعلم أحوال العباد، ويعلم مشكلاتِهم، ويعلم ما فِي نفوسِهم من أفكار خبيثة أو سليمة، ويعلم مَا يأتِي به أهل الباطل فيما يأتِي من الزمان، كل ذَلِكَ يعلمه سبحانه.

وقد أنزل كتابه لإيضاح الحق وكشف الباطل، وإقامة الْحُجَج عَلَى ما دَعَت إليه رسله -عليهم الصلاة والسلام-، وقد أرسل رسوله مُحَمَّدًا ﷺ بالْهُدَى ودين الحق، وأنزل كتابه الكريْم تبيانًا لكل شيء، وهُدى ورحْمَةً وبشرى للمسلمين.

وإنَّما يعمل أهل الباطل وينشطون عنْد اختفاء العلم وظهور الجهل وخلو الميدان ممَّن يقول: قَالَ الله وَقَالَ الرسول، فعند ذَلكَ يستأسدون ضد غيرهم، وينشطونَ فِي باطلهم؛ لعدم وجود من يَخشونَهم من أهل الحق والإيْمان وأهل البصيرة، وقد ذكر الله ﷻ فِي كتابه كل شيء إجْمَالاً في مواضع، وتفصيلاً فِي مواضع أخرى، قَالَ ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

هذا كلام الحكيم العليم الَّذي لا أصدق منه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

أوضح سبحانه في قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]. أنهُ مع كونه تبيانًا لكل شيء فيه هُدى ورحْمَة وبُشرى، فهو بيان للحق وإيضاح لسبله ومناهجه، ودعوة إليه بأوضح عبارة وأبين إشارة، ومع ذَلكَ فهو هدى للعالَمين فِي كل ما يَحتاجونَ إليه فِي ذكر ربِّهم والتوجه إلى ما يُرضيه، والبعد عن مساخطه.

وبيَّن لَهم طريق النجاح وسبيل السعادة مع كونه رحْمَة فِي بيانه وإرشاده، وهُدى وإحسانًا وبُشرى، وتطمينًا للقلوب بما يوضح من الحقائق، ويُرشد إليه من البصائر الَّتِي تَخضع لَهَا القلوب، وتطمئنُ

إليها النفوس، وتنشرحُ لَهَا الصدور، بوضوحها وظهورها.

يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠].

ولولا أن كتابه ﷻ وسنة نبيه ﷺ فيهما الْهِدَاية والكفاية لَمَا رد الناس إليهما، ولكان ردُّه إليهما غير مفيد، تعالى الله عن ذَلِكَ علوًّا كبيرًا.

وإنَّما رد الناس إليهما عِنْد التنازع والخلاف؛ لِمَا فيهما من الهداية والبيان الواضح وحل المشكلات والقضاء عَلَى الباطل، ثُمَّ ذكر أن هذا شرط للإيْمان، فَقَالَ سبحانه: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

ثُمَّ ذكر أنه خير للعباد فِي العاجل والآجل، وأحسن عاقبة، يعنِي: أن ردهم ما يتنازعونَ فيه إلى الله والرسول خير لَهم فِي الدُّنيا

والآخرة، وأحسنُ لَهم فِي العاقبة.

ومن هذا يُعلم أن فِي كتاب الله العزيز وسنة رسوله الأمين حَلاًّ لِجميع المشكلات، وبيانًا لكل ما يَحتاجه الناس فِي دينهم، وفِي القضاء عَلَى خصوماتِهم، كما أن فِي ذَلِكَ النصر للداعي إلى الحق، والقضاء عَلَى خصمه بالحجة الواضحة، ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

والمثل يَعُمُّ كل ما يُقَدِّمون من شبهة يزعمونَها حُجَّة، ومن مذهب يدعونه صحيحًا، ومن دعوة يزعمون أنَّها مفيدة، كل ذَلِكَ يكشفه هذا الكتاب وما جاءت به سنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- فجميع ما يُقَدِّمونه من مشكلات وشبهات ودعوات مضللة أو مذاهب هَدَّامَة كل ذَلِكَ يكشفه العلم بِهذا الكتاب وسنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

ومعلوم أن الأفكار الْهَدَّامة والمبادئ الضالة والمذاهب المنحرفة كثيرة، والملبِّسون للحق بالباطل لا يُحصون، وكذلك دعاة الباطل، والمؤلفون فِي الصد عن سبيل الله لا يُحصيهم إلا الله، وهم يُلبِّسون عَلَى الناس باطلهم بِما يُحرفونَ من الكلم، ولقد كَثرَ الخطباء والمتكلمون فِي الإذاعات وفِي التلفاز وفِي كل مَجال: فِي الصحافة.

والْمُجْتَمَعات وفي كل نافذة كلٌّ يدعو إلى نِحلته، وينادي إلى فكرته، ويُمنِّي غيره ويدعوه إلى الباطل.

ولا مَخرج من هذه الْمِحَن، ولا طريق للتخلص منها والقضاء عليها إلا بعرضها عَلَى هذا الميزان العظيم: الكتاب والسنة، ففي عرضها عَلَى هذا الميزان العظيم تَمحيصها وبيان حقها من باطلها، ورشدها من غيها، وهداها من ضلالِها، وبذلك ينتصر الحق وأهله، ويندحر الباطل وأهله، فإذا تقدم دعاة الشيوعية والاشتراكية المنكرون لوجود الله، والقائلون: لا إله، والحياة مادة، المكذبون بالحق، والمنكرونَ لكتاب الله، وما ورد فيه من الأدلة النقلية والعقلية عَلَى وجود البارئ وقدرته العظيمة وعلمه الشامل.

فارجعوا إلى كتاب الله، واقرءوا من آياته ما يرشد إلى دلائل وجوده سبحانه، وأنه الصانع الحكيم لِهذه الأشياء، والموجدُ لَهَا، والخالق لَهَا سبحانه، وقد أرشدَ سبحانه فِي كتابه الكريْم إلى ذَلِكَ، وبيَّن أنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه خالق كل شيء، وأنه ينصرُ الحق، ويُقيم الأدلة عَلَى ذَلِكَ فِي مواضع كثيرة من كتابه ليعتمد عليها طالب الحق.

يقول سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ

ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

ثُمَّ يقول سبحانه بعدها: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

ويقول -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

ويقول: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨].

ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

إلى آيات كثيرة يُرشدُ بها سبحانه أنه ربُّ العباد، وأنه رب العالَمين، وأن الرسل جاءت بهذا، كما قالَ -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان:٣٠].

ويقول -جل وعلا-: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢].

ويقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

ويقول سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣].

ثُمَّ يبين الأدلة في مواضع كثيرة، عندما يتأملها المؤمن يعرف أن الدليل النقلي مُؤيَّد بالدليل العقلي المشاهد الْمَحْسُوس؛ ولهذا ذكر سبحانه بعد قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾. الحجة عَلَى ذَلكَ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

والمعنَى أن هذا الخالق لَنَا هُوَ المستحق أن نعبده لكونه خلقنا؛ ولأنه يرعى مصالِح العباد، وهذا أمر معلوم بالفطر السليمة، والعقول الصحيحة، فهم لَم يَخلقوا أنفسهم، فقد خلقهم بارئهم، فالله هُوَ الخالق بالأدلة النقلية والعقلية، ثُمَّ قَالَ سبحانه: ﴿ٱلَّذِى

جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

بيَّن ﷻ كيف تُدرك هذه الأشياء المشاهدة المخلوقة الَّتِي يدركها العقل ويدركها كل إنسان، فجعل الأرض فراشًا لَنَا ننامُ عليها، ونسيرُ عليها، ونرعى المواشي عليها، ونَحملُ عليها، ونزرعُ عليها الأشجار، ونأخذُ منها المعادن ... إلى غير ذَلِكَ.

ثُمَّ أنزل من السماء ماء –من السحاب–، أنزل المطر فأخرج به الثمرات لَنَا، من الَّذِي أنزل المطر؟! من الَّذِي أخرج هذه الثمار الَّتِي يأكلها الناس والدواب، مِمَّا زرعوا ومن غير ما زرعوا؟! كلها من آيات الله العظيمة الدالة عَلَى قدرته العظيمة، وأنه رب العالَمين.

أرض مستقرة أرساها ربنا بالجبال الَّتِي جعلها أوتادًا لَهَا، وجعلها مُمهدة ساكنة نعيش عليها، ونطمئن نَحن ودوابنا وسياراتنا فوقها، وتطير فِي فضائها طائراتنا، ونتمتعُ بِجميع ما خلق فيها.

والسماء كذلك خلقها فوقنا، وزينها بالكواكب السيارات والثوابت، وجعل فيها الشمس والقمر؛ ليعلم العباد قدرة الخالق العظيم والعلي الكبير، الَّذِي لا شريك له فِي ذَلِكَ ﷻ.

ثُمَّ هذه المزروعات الكثيرة والثمار المنوعة الَّتِي فيها المنافع

الكثيرة والمصالِح العظيمة مع اختلاف أشكالِها وألوانِها وأحجامها وطعومها ومنافعها إلى غير ذَلكَ، هنا تظهر قدرة الله سبحانه، واستحقاقه للعبادة كما قَالَ ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٣-١٦٤].

فهو سبحانه يُبيِّن لَنَا فِي هذه الآيات الَّتِي نُشاهدها ونراها ونُحس بِها:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [آل عمران:١٩٠].

هذه السموات مع اتساعها وارتفاعها وما فيها من عجائب وغرائب، وهذه الأرض مع سعتها وانبساطها وما فيها من أنْهَار وجبال وغير ذَلكَ، ثُمَّ اختلاف الليل والنهار، وما أنزلَ من السماء من ماء، وما أخرج من البحار من أشياء تنفعُ الناس وما يَحمله ماؤها من البواخر الَّتِي أمسكها عَلَى ظهر هذا الماء، تَحمل حاجات

الناس، وتَحملهم أيضًا من بلاد إلى بلاد.

ثُمَّ أنزل من السماء ماء، فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض.

هذه الآيات العظيمة لِمَنْ تدبرها ترشده إلى وجود بارئها وخالقها الَّذي خلقه وأوجده من العدم، وأنه رب العالَمين ﷻ، وأن هذه المخلوقات لا قوام لَهَا إلا به سبحانه، كما قَالَ ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥].

فهذه الآيات الَّتِي نُشاهدها، والدلائل الَّتِي نقرؤها ونعلمها إنَّما ينتفعُ بِها ذوو العقول السليمة والبصائر المستقيمة؛ ولِهذا قَالَ سبحانه فِي آخر الآية: ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

والرسل -عليهم الصلاة والسلام- هُم أصدق الناس، وقد أقاموا الأدلة عَلَى صدقهم، ودَلَّتْ المعجزات عَلَى ذَلِكَ، وقد أخبرونا بِهذا، وأن هذا صنع الله، وأنه ربنا وخالقنا، وأنه الرَّحْمَن، وأنه الرحيم، وأنه السلام، وأنه القدوس ... إلى غير ذَلِكَ من أسْمَائه الحسنَى ﷻ، كما أخبر -جل وعلا- فِي كتابه العظيم أنه الحكيم العليم، القادر عَلَى كل شيء -جل وعلا-.

وفي هذا أبلغ رد عَلَى دعاة الشيوعية والدهرية والاشتراكية

وغيرهم مِمَّن أنكروا وجود الله، فهل هذه المخلوقات، وهل هذه الموجودات تَخلق نفسها وتُنشئ نفسها؟! هل يقول هذا عاقل؟! بل كوب الماء لو قُلْت لعاقل: إنه خلق نفسه؛ لقال: إنَّك مَجنون. وهكذا كوب الشاي وكوب القهوة والملعقة والعصا، كلها معروف من صنعها، فكيف بِهذا العالَم العظيم الَّذي أنشأه الخالق سبحانه من العدم، وجعل فيه من الآيات والمنافع ما لا يُحصى، فهو المبدع، سبحانه وتعالى عَمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ثُمَّ هذا الخالق قد بَيَّن أسْمَاء تليق بذاته، وبينت الرسل صفاته وأسْمَاءه ودلوا عليه وأرشدوا إليه، وقامت الدلائل عَلَى صدقهم، وعلى رأسهم نبينا مُحَمَّد -عليه الصلاة والسلام- أصدق الأنبياء وأفضلهم، قد بعثه الله بكتابه العظيم، والرسالة العامة، الَّتِي أوضح بِها كل شيء.

ثُمَّ يأتي دعاة الماسونية الذين يريدون أن يردوا الناس إلى الأحوال البهيمية، والمساواة فِي كل شيء، ويُحاربوا مكارم الأخلاق ومَحاسن الأعمال؛ ليجعلوهم كالبهائم لا يُميزون حقًّا من باطل ولا خيرًا من شر.

وهذا كله خلاف ما دعت إليه الرسل -عليهم الصلاة والسلام- خلاف ما دلَّ عليه القرآن الكريْم المعجز، وهو أيضًا خلاف ما

دلت عليه العقول الصحيحة، والفطر السليمة الَّتِي فطرَ العباد عليها، فإن الله سبحانه فطر الناس عَلَى الاعتراف بِمكارم الأخلاق، ومَحاسن الأعمال، والعدل، والحق، وكراهة الظلم والعدوان والأذى.

لقد فطر الله العباد عَلَى تَمييز الأب من الابن، والأخ من الأخت، والزوجة من الزوج، حتَّى البهائم ميزت هذا عن هذا.

كذلك من ادَّعى الإباحية، وأنه لا حَرَج عَلَى الإنسان فِي أي حال أن يَعمل ما شاء، ويستبيح ما يشاء من مَهازل ومساوئ، كلهم مُلحدون وضالون، وقد أبطلَ الله هذا المذهب، وبيَّن ﷻ أنه أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ لبيان حقه عَلَى عباده، وما أحل من الطيبات، ومَا حَرَّم من الخبائث، وما أوصى به ﷻ عباده من التمسك بِمَا جاءت به الرسل، ونبذ ما خالفه.

ولقد أوضح سبحانه فِي الكتب المُنَزلة من السماء تفصيل الحلال من الحرام، والْهُدى من الضلال، والمعروف من المنكر، والخير من الشر.

فالإباحيون والماسونيون قد أعرضوا عن ذَلِكَ كله، ونبذوه وراء ظهورهم، فلا خلقًا كريْمًا استقاموا عليه، ولا عقلاً صحيحًا تَمسكوا به، فلم يأخذوا بِما جاءت به الرسل من الْهُدى، والتمييز

بين الحق والباطل، والْهُدى والضلال.

ومن تأمل كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، وتأمل أحوال العالَم، عرف أن الحق كله فيما جاءت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، من بيان ما أباحَ الله، وبيان ما حَرَّمَهُ سبحانه، وأنَّهم بعثوا ليميزوا بين الطيب والخبيث، وبين الحلال والحرام بِمَا شرع الله، حتَّى تسير الْمُجْتمَعَات عَلَى هدى وبيان، وعلى خير ورشاد، وعلى الأخلاق الكريْمة والصفات الحميدة الَّتِي تَحفظ للإنسان عقله ودينه، وماله ونفسه، وذريته وزوجته ... وغير ذَلِكَ.

ولا يتعدى عليه غيره فيأمن الْمُجْتمَع، وتستقيم الأحوال والأخلاق، ويأمن الناس، وتَحصل لكل إنسان حريته فِي أخذه وعطائه، وبيعه وشرائه، وتعاطي ما يسَّر الله له من الحلال، وتَملكه ما كسب بالطرق الشرعية، وتصرفه بِمَا ينفعه ولا يضره.

وأمَّا مَنْ دعا إلى أفكار أخرى كدعوة القاديانية وأشباههم مِمَّن دعا إلى اتباع نَبِيٍّ جديد، أو رَسُول جديد؛ فدعواه باطلة، وأفكاره مضللة زائفة؛ لأن الله ﷻ بيَّن فِي كتابه المبين أن مُحَمَّدًا -عليه الصلاة والسلام- خاتَم النبيِّين، وقد جاء ذَلِكَ فِي الأحاديث المتواترة عن رَسُول الله ﷺ وبشرت به النبوات السابقة، قَالَ تعالى: ﴿مَّا كَانَ

مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ولكن هناك أشباه الأنعام، تلتبس عليهم كل دعوى، ويَخفى عليهم كل شيء، ولا يُميزونَ بين حق وباطل، ولا يُفرقونَ بين هُدى وضلال.

فكل ما يدَّعيه الداعون، وينعقُ به الناعقون، يلتبس عليهم؛ لعدم العلم والبصيرة؛ ولِهذا ارتفع صوتُ هذا الرجل -أعنِي: مرزا غلام أحْمَد- بدعواه الباطلة، فاتبعه من الناس من هُم أشباه الأنعام، وصدقوا بِما قاله، وما كتبه فِي هذا الباب مِمَّا يُخالف نص الكتاب العزيز، وما تواترت به السنة عن المصطفى -عليه الصلاة والسلام- من كونه خاتَم الأنبياء والمرسلين.

كيف يَحدث مثل هذا؟! وكيف يشتبه عَلَى من هُم من بنِي آدم الذين هُم من أصحاب العقول، والذين يقرءون ويكتبون، وبطلانه من أوضح الأشياء وأظهرها؟!

ولكن الله ﷻ يري عباده من العجائب والعبر ما فيه عظة وذكرى لكل ذي لُبٍّ، قَالَ ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وهكذا البهائية والبابية وأشباههم مِمَّن ادعوا دعاوى باطلة،

وضلوا فِي هذا السبيل، ولبَّسوا عَلَى أشباه الأنعام من البشر ما يدعون إليه من باطلهم، فزعم كبيرهم: أنه نَبي، ثُمَّ ادَّعى: أنه رب العالَمين، ومع ظهور باطلهم، نَجد لَهم أتباعًا ودعاة وأندية تروج باطلهم، وتدعو إليه، وربَّما كَانَ الكثير منهم يعرف الحق، ويعلم أنه مبطل فِي دعواه، ولكنه يتظاهر بتأييد الباطل، لِمَا له من غرض فِي ذَلكَ فِي هذه الحياة الدُّنيَا، فتابعهم فِي طريق الباطل، وهم أشبه بالأنعام، بل هُم أضل منها، كما قَالَ الله ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

لقد ضلَّ هؤلاء ضلالاً بعيدًا، كما ضلَّ أصحابُ فرعون بفرعون، وأصحاب النمرود بالنمرود.

فهذا المسكين الَّذي يتبول ويتغوط، ويأكل ويشرب، ويتألَّمْ من كل شيء كيف يكون ربًّا؟! وكيف يكون إلَهًا! وكيف يَجوز هذا عليه، وعلى أتباعه، ولكن الأمر كما قَالَ الله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وكما قَالَ ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

وكما قَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

وهكذا الدَّجَّال الَّذي يأتي آخر الزمان يتبعه جَمٌّ غفير من كل جاهل، وأعمى بصيرة لِمَا يروِّجه من الباطل، ويأتي به من خوارق العادات الَّتي تُشتبه عَلَى أشباه الأنعام، وكل نِحْلة، وكل دعوة باطلة تَجد لَهَا أتباعًا وأنصارًا بغير قلوب ولا هُدى!.

أمَّا طريق السلف الصالح: فهو أوضح من الشمس فِي رابعة النهار؛ لِما قام عليه من البراهين الساطعة، والحجج النيرة، والأدلة القاطعة لكل من عنده أدنى بصيرة، ورغبة فِي طلب الحق.

وقد بَيَّن الله فِي كتابه الكريْم، وسنة رسوله الأمين أن الخير والفلاح يكونان فِي التمسك بكتاب الله العظيم، وسنة المصطفى -عليه الصلاة والسلام-، وما كَانَ عليه سلف الأمة من الصحابة -رضوان الله عليهم-، وأتباعهم بإحسان.

فيرد دعاة الحق عَلَى هؤلاء المنحرفين بِمَا علموا من كتاب الله وسُنَّة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، وبِمَا علموا بعقولِهم

الصحيحة، وبصائرهم النافذة، وفطرهم السليمة عَلَى هدى ما علموه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبِمَا علموه من مَخلوقات الله ﷻ من الدلالة عَلَى قدرته وعظمته، واستحقاقه للعبادة، وصدق رسله -عليهم الصلاة والسلام-، وأن ما أتوا به هُوَ الحق، وهو ما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من بيان الحلال والحرام، والْهُدى والضلال، وما شرع الله لعباده، وما نَهَى عنه، وما أخبر به من الجنة والنار ... إلى غير ذَلِكَ.

وأن ما أنكره هؤلاء وغيرهم من الشيوعيين، وسائر الملاحدة، من البعث والنشور، والجنة والنار ... وغير ذَلِكَ من شئون اليوم الآخر، كله باطل ومُخالف للأدلة القطعية.

وهم جَميعًا حجتهم داحضة، وباطلهم واضح، فإن الأدلة الدالة عَلَى بعث الموتى، ووقوفهم أمام رب العالَمين كثيرة لا تُحصى، وأن كل ما خلقه الله فِي هذه الدُّنيَا شاهد عَلَى قدرته سبحانه، ووجوب الاعتراف بألوهيته وحده، فالأرض الميتة يُنْزِلُ الله عليها المطر، فيُخرج منها النبات بعد موتِها، ويُخرج منها -جل وعلا- ما شاء من الثّمار.

فالذي أخرج هذا النبات، وأنعم علينا بِهذه الثمار هُوَ الله

ﷻ، الَّذِي أنزل هذا المطر، وأحيا به الأرض الميتة الَّتِي أخرجت النبات والثمار، وهو الَّذِي سيحيي الموتى، ويبعثهم من قبورهم، ويقف كل واحد أمامه ﷻ للحساب عَلَى ما عمل، وما اكتسبت يداهُ فِي هذه الدُّنيَا.

وهكذا الإنسان: خلق الله أبانا آدم من تراب، ثُمَّ جاءت منه الذرية، خلقهم سبحانه من ماء مهين، ثُمَّ تَحولوا إلى علقة، ثُمَّ إلى مُضغة، ثُمَّ إلى إنسان سَوِي، له سَمْعٌ وبصر، وعقل وإدراك وجوارح، ثُمَّ يتدرج ويكبر حتَّى يصير إنسانًا عظيمًا، فيأخذ ويُعطي، ويُفكر، ويتعلم، وينتج.

وإن هذه الآيات العظيمة كلها تدل عَلَى قدرة الله ﷻ، وتدل عَلَى صدق الرسل فِي إخبارهم بأن هناك -أي: فِي الآخرة- مُجتمعًا لديه سبحانه يؤيد فيه الحق، ويَجزي أهله بأحسن الجزاء، ويُدخلهم الجنة، ويقيهم عذاب النار، ويذل أعداءه، ويُخلدهم فِي النار أبد الآباد.

ثُمَّ إن كل عاقل فِي هذه الدار يُشاهد من يظلم، ومن تؤخذ حقوقه، ومن يُعْتَدى عليه فِي ماله وبدنه ... وغير ذَلِكَ، ثُمَّ يَموت الظالِم ولَم يرد الحقوق، ولَم ينصف المظلوم، فهل يَضيع ذَلِكَ الحق عَلَى المظلومين المساكين المستضعفين؟! كلا ... فإن

الخالق العظيم الحكيم العليم حدَّد للإنصاف موعدًا، ذَلكَ الموعد هُوَ يوم القيامة، ينصف فيه المظلوم الَّذي لَم يُعْطَ حقه فِي الدُّنيَا كاملاً من الظالِم، فينتقم منه، ويُعاقبه بِما يستحق.

إن هذه الدار ليست دار جزاء، ولكنها دار امتحان وابتلاء، وعمل وسرور وأحزان، وقد ينصف فيها المظلوم فيأخذ حقه فيها، وقد يؤجل أمره إلى يوم القيامة لحكمة عظيمة، فينتقمُ الله من هؤلاء الظالمين، كما قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢].

ففي هذا اليوم الرهيب ينصف الله المظلومين، ويعطيهم جزاءهم، وينتقمُ لَهم من الظالمين، وقد يُعَجِّل الله سبحانه للظلمة العقوبات فِي الدُّنيَا، كما فعل فِي أمم كثيرة، وقد يُؤَجِّل ذَلكَ للمظلومين والظالِمين، ثُمَّ تعطى الحقوق فِي هذا اليوم العظيم، يوم القيامة الَّذي تشخصُ فيه الأبصار، وكل ذَلكَ حق.

فالحكيم العليم القادر عَلَى كل شيء لا يفوت عَلَى المظلومين حقهم؛ ولِهذا أخبرنا أن هناك بعثًا ونشورًا، وأن هناك جزاءً وحسابًا، وقد قامت عَلَى هذا الأدلة من القرآن والسنة، وإجْمَاع الأمة، والعقول الصحيحة، والفِطَر السليمة، دلت عَلَى أنه لابد من جزاء وحساب،

وأن البعث حق، وأن الجنة حق، وأن النَّار حق، كل ذَلكَ جاءت به الكتب السماوية، والسنة النبوية، وأجْمَعَ عليه المسلمون.

ومع ذَلكَ فالفطرة السليمة والعقول الصحيحة تشهد بذلك، وأننا نشاهد ظالمين ومظلومين، لَم يقتص من الظالمين للمظلومين، ولَم تؤخذ منهم الحقوق، فلابد لَهم من يوم يُحاسبون فيه، ويُجازى فيه كل إنسان عَلَى ما قَدَّم.

إننا نَجدُ مؤمنين صالحين موفقين مُجتهدين فِي سبيل الخير، لَم ينالوا ما ناله غيرهم من أولئك الذين تعدوا حدود الله، وظلموا عباد الله، وهم مع هذا لديهم الأموال العظيمة، والقصور الشاهقة، والْخَدم، والمتاع.

وجَمٌّ غفير من الأخيار المتقين مَحرومون، لَمْ ينالوا من هذا شيئًا، فلابد من موعد ولابد من لقاء مع ربِّهم، يُعطون فيه من المنازل العالية، والأجر العظيم، ويتكرم عليهم سبحانه بأنواع الفضل، جزاء صبرهم وأعمالهم الصالحة، فينالون الثواب الكبير، والمنازل العالية، والخير الجزيل، والإحسان العظيم، والقصور، والجواري، والخيرات الَّتِي لا تُحصى، عَلَى ما فعلوا من خير، وعلى ما قدموا من عمل صالح، ويُجازي سبحانه هؤلاء الظالمين المفرطين المعرضين، الَّذِين

ركنوا إلى الدُّنيَا، وغرتْهُم شهواتُها، وانساقوا وراء مفاتنها بِمَا يستحقونَ من العذاب والنكال وسوء المصير، وما ذَلِكَ إلا لتفريطهم وإعراضهم عن الله، وتعديهم حدوده، ومقابلتهم نعمه بالكفران، وظلمهم عباده، وإدبارهم عن طاعته.

فهؤلاء يُجازيهم الله ﷻ بِما يستحقون، وهذه الأمور العظيمة إذا تأملها صاحب العقل الصحيح، والفطرة السليمة، عرف أن المعاد حق، وعلم أن ما يدعيه الملحدونَ، والشيوعيون، والوثنيون، وغيرهم مِمَّن يُنكرون الآخرة، ومَعاد الأبدان، من أبطل الباطل، واتضح له أن دعواهم ساقطة، وأقوالَهُم زائفة.

وهكذا أصحاب النِّحل والدعوات المضللة، والأفكار الْهَدَّامة، كلها عَلَى هذا السبيل إذا تأملها ذو العقل الصحيح، والبصيرة النافذة، والفطرة السليمة، عرف بطلانَها، وعرف أدلة زيفها من الكتاب والسنَّة المطهرة، ومن الكتب الصحيحة، فإنه سبحانه خلق الشواهد، وأقامَ الدلائل عَلَى الحق من كتابه وسنة نبيه ﷺ، وبِمَا أودعَ فِي العقول من فهم وإدراك، وبِمَا خلق فِي هذه الدُّنيَا من مَخلوقات، وأوجدَ فيها من كائنات، تَشهد له بالحكمة، وأنَّه الخلاق العليم، الرزاق الكريْم، القادر عَلَى كل شيء، والمستحق لأن يُعبد وحده لا شريك له.

والجدير بطالب العلم أينما كَانَ أن يُقبل عَلَى كتاب الله، وأن يَجعلَ تدبره وتعقله من أكبر هَمِّه، ومن أعظم شواغله، وأن تكون له العناية الكاملة بقراءته، وتدبر ما فيه من المعاني العظيمة، والبراهين الساطعة عَلَى صحة ما جاءت به الرسل، وعلى صدق ما دلَّ عليه الكتاب، وعلى بطلان ما يقوله أهل السوء أينما كانوا، وكيفما كانوا.

ومن تدبر القرآن طالبًا للهدى أعزَّهُ الله، ونصره، وبلغه مُنَاه، كما قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

وهكذا السنة المطهرة إذا تأملها المؤمن، وتأمل موقفه ﷺ مع أعدائه وخصومه فِي مكة والمدينة؛ عرف الحق، وأن أهل الحق منصورون ومُمتحنون، ومن فاته النصر فِي الدُّنيا فلن يفوته الجزاء والعوَض في الآخرة، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥١- ٥٢].

فقد وعد الله سبحانه بالنصر للعاملين في الدُّنيا، والثواب في الآخرة، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ

﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

فقد وعد الله ﷻ في هاتين الآيتين الذين يعملون للحق، ويقيمون الصلاة، ويؤدونَ الزكاة لِمستحقيها، ويأمرونَ بالمعروف، وينهونَ عن المنكر، وعدهم -جل وعلا- بالنصر، وهو يَعم النصر في الدُّنيا، والتمكين فيها، والنصر والرضا من الله سبحانه يوم القيامة، يوم يقوم الأشهاد، وفي هذا عزة للمؤمنين، وذلة للكافرين، فالمؤمنون يفوزون بالجنة، والكافرون تعلو وجوههم الذلة والندامة، والنار تكون مثواهم ومصيرهم.

وفي هذا المعنى يقول ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النور:٥٥]. والآيات في هذا الْمَعْنَى كثيرة.

ومن تأمل أحوال أهل العلم الموفقين الذين نبغوا في هذه الأمة وتدبروا كتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ، وعلموا من ذَلكَ ما يعينهم عَلَى فهم كتاب الله، وعلى فهم سنة رَسُول الله ﷺ فهمًا صحيحًا، من الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-، والتابعين لَهم بإحسان

من أئمة الإسلام فيما كتبوا، وما نقل عنهم ومن سار عَلَى نَهجهم من أهل الصدق والوفاء والبصيرة كأبي العباس بن تيمية -رَحِمَهُ الله- وتلميذيه: العلامة ابن القيم، والحافظ ابن كثير وغيرهم مِمَّن برزوا فِي هذا الميدان من أئمة هذا الشأن.

نعم! من تأمل أحوالَهم، وفتح الله عليه بفهم ما قالوا وما كتبوا، رأى العجب العجاب، والعبر الباهرة، والعلوم الصحيحة، والقلوب النيرة، والبراهين الساطعة، الَّتِي ترشد من تَمسك بِها إلى طريق السعادة وسبيل الاستقامة.

وبذلك يَحصل له -بتوفيق الله سبحانه- تَحقيق الغاية المطلوبة، وتَحصين نفسه بالعلوم والمعرفة والطمأنينة إلى الحق، الَّذِي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ودرج عليه سلف هذه الأمة.

ويتضح له أن من خالفهم من دعاة الزيغ والضلال، ليس عندهم إلا الشبهات الباطلة والحجج الزائفة الَّتِي لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

ويعلم حقًّا أن طالب العلم فِي الحقيقة هُوَ الَّذِي يُميز الحق من الباطل، بأدلته الظاهرة، وبراهينه الساطعة، ويقرأ كتب الأئمة المهتدين، ويأخذ منها ما وافق الحق، ويترك ما ظهر بطلانه، وعدم موافقته للحق.

ومن هؤلاء الأئمة المبرزين: الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ-، وأنصاره فِي القرن الثاني عشر وما بعده، قد برزوا فِي هذا الميدان، وكتبوا الكتابات العظيمة الناجحة، وأرسلوا الرسائل إلى الناس، ورَدُّوا عَلَى الخصوم، وأوضحوا الحق فِي رسائلهم ومؤلفاتهم بأدلته من الكتاب والسنَّة، وقد جَمع من ذَلِكَ العلامة الشيخ عبد الرَّحْمَن بن قاسم -رَحِمَهُ اللهُ- جُملة كثيرة فِي كتابه المسمى: "**الدرر السنية فِي الأجوبة النجدية**".

والأدلة الَّتِي كتبها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ- وتلاميذه من تأملها، وتبصر فيها؛ رأى فيها الحق المبين، والحجج الباهرة، والبراهين الساطعة الَّتِي توضح بطلان أقوال الخصوم وشبهاتِهم، وتبين الحق بأدلته الواضحة.

وهم -رحْمَة الله عليهم- مع تأخر زمانِهم، قد وُفقوا فِي إظهار الحق وبيان أدلته، وأوضحوا ما يتعلق بدعوة التوحيد، والرد عَلَى دعاة الوثنية، وعباد القبور، وبرزوا فِي هذا السبيل، وكانوا عَلَى النهج المستقيم، نَهج السلف الصالِح، واستعانوا فِي هذا الباب بالأدلة الواضحة الَّتِي جاءت فِي الكتاب والسنة النبوية، وعنوا بكتب الحديث وكتب التفسير.

وبرزوا فِي هذا الميدان حتَّى أظهر الله بِهم الحق، وأذلَّ بِهم الباطل، وأقامَ بِهم الحجة عَلَى غيرهم، ونشر بِهم راية الإسلام، وقامت راية الجهاد، وأجرى الله عَلَى أيديهم من نعمه وخيره الجزيل ما لا يُحصى، وأصبح أهل الحق فِي سائر الأمصار الذين عرفوا كتبهم، وصحة دعوتِهم، وسلامة منهجهم، ينشرون دعوتَهم، ويستعينونَ بِما ألفوا فِي هذا الشأن عَلَى خصوم الإسلام، وأعداء الإسلام فِي كل مكان، من أهل الشرك والبدع والخرافات.

وأسألُ الله ﷻ أن يوفقنا جَميعًا لِمَا يرضيه، وأن يُصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يَجعلنا هُداة مُهتدين، وصالِحين مُصلحين، وأن يَمْنحنا الفقه فِي دينه، كما أسأله ﷻ أن يَنْصر دينه ويُعلي كلمته، ويُصلح أحوال المسلمين فِي كل مكان، وأن يولي عليهم خيارهم، وأن يُصلح قادة المسلمين ويَجعلهم هُداة مُهتدين، وأن يوفقهم لتحكيم الشريعة والتحاكم إليها، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وينصر بِهم الحق، إنه -جل وعلا- جواد كريْم.

وصَلَّى الله وسَلم عَلَى نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه.

حكم الاختلاط في التعليم

الْحَمْدُ لله والصلاة والسلام عَلَى رَسُول الله.

وبَعْد؛ فقد اطلعتُ عَلَى ما نشرته جريدة السياسة الصادرة يوم (١٤٠٤/٧/٢٤هـ) بعددها (٥٦٤٤) منسوبًا إلى مدير جامعة صنعاء عبد العزيز المقالِح، الَّذِي زَعَم فيه أن المطالبة بعزل الطالبات عن الطلاب مُخالفة للشريعة، وقد استدلَّ عَلَى جواز الاختلاط بأن المسلمين من عهد الرَّسُول ﷺ كانوا يؤدون الصلاة فِي مسجد واحد، الرجل والمرأة، وَقَالَ: "ولذلك فإن التعليم لابد أن يكون فِي مكان واحد".

وقد استغربت صدور هذا الكلام من مدير لِجامعة إسلامية فِي بلد إسلامي يطلب منه أن يوجه شعبه من الرجال والنساء إلى ما فيه السعادة والنجاة فِي الدُّنيا والآخرة، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حول وَلاَ قوَّة إلاَّ بالله.

ولا شك أنَّ هذا الكلام فيه جناية عظيمة عَلَى الشريعة الإسلامية؛ لأن الشريعة لَم تدعُ إلى الاختلاط حتَّى تكون المطالبة بمنعه مُخالفة لَهَا، بل هِيَ تَمنعه وتُشدد فِي ذَلِكَ، كما قَالَ الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ

فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣] الآية.

وَقَالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩].

وَقَالَ سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [النور:٣١].

إلى أن قَالَ سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وَقَالَ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]. الآية.

وفي هذه الآيات الكريْمات الدلالة الظاهرة عَلَى شرعية لزوم النساء لبيوتهنَّ حذرًا من الفتنة بهن، إلا من حاجة تدعو إلى الخروج، ثُمَّ حذرهن سبحانه من التبرج تبرج الجاهلية، وهو إظهار مَحاسنهن ومفاتنهن بين الرجال، وقد صحَّ عن رَسُول الله ﷺ أنه قَالَ: **«مَا**

تَرَكْتُ بَعْدي فِتْنَة أضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِن النِّسَاء». متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه(١).

وخَرَّجه مُسْلِم فِي صحيحه عن أسامة، وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نُفيل -رضي الله عنهما جَميعًا-(٢).

وفي صحيح مُسْلِم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ أنه قَالَ: «**إنَّ الدُّنيا حُلْوَة خَضِرَة، وإنَّ الله مُسْتَخْلفكُمْ فِيهَا؛ فَناظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُون، فَاتَّقُوا الدُّنيَا، واتَّقُوا النِّسَاء؛ فإنَّ أوَّلَ فِتْنَة بَنِي إسْرَائيلَ كَانتْ فِي النِّسَاء**»(٣).

ولقد صدق رَسُول الله ﷺ فإن الفتنة بِهن عظيمة، ولاسيما فِي هذا العصر الَّذِي خلع فيه أكثرهن الحجاب، وتبرجن فيه تبرج الجاهلية، وكثرت بسبب ذَلِكَ الفواحش والمنكرات، وعزوف الكثير من الشباب والفتيات عَمَّا شرع الله من الزواج فِي كثير من البلاد، وقد بَيَّن الله سبحانه أن الحجاب أطهر لقلوب الجميع؛ فدل ذَلِكَ عَلَى أن زواله أقرب إلى نَجاسة قلوب الجميع وانْحرافِهم عن طريق الحق.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

ومعلوم أن جلوس الطالبة مع الطالب فِي كرسي الدراسة من أعظم أسبابْ الفتنة، ومن أسباب ترك الحجاب الَّذِي شرعه الله للمؤمنات، ونَهاهن عن أن يبدين زينتهن لغير مَنْ بيَّنهم الله سبحانه فِي الآية السابقة من سورة النور.

ومن زعم أن الأمر بالحجاب خاص بأمهات المؤمنين فقد أبعدَ النجعة، وخالفَ الأدلة الكثيرة الدالة عَلَى التعميم، وخالف قوله تعالَى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]. فإنه لا يَجوز أن يقال: إن الحجاب أطهر لقلوب أمهات المؤمنين ورجال الصحابة دون من بعدهم، ولا شك أن من بعدهم أحوج إلَى الحجاب من أمهات المؤمنين ورجال الصحابة ﷺ لِمَا بينهم من الفرق العظيم فِي قوة الإيْمان والبصيرة بالحق.

فإن الصحابة ﷺ رجالاً ونساء -ومنهن أمهات المؤمنين- هُم خير الناس بعد الأنبياء وأفضل القرون بنص الرسول ﷺ المخرج فِي الصحيحين، فإذا كَانَ الحجاب أطهر لقلوبهم؛ فَمَنْ بعدهم أحوج إلَى هذه الطهارة، وأشد افتقارًا إليها مِمَّن قبلهم؛ ولأن النصوص الواردة فِي الكتاب والسنَّة لا يَجوز أن يَخص بِها أحد من الأمة إلا بدليل صحيح يدل عَلَى التخصيص، فهي عامة لِجميع الأمة فِي

عهده ﷺ وبعده إلى يوم القيامة؛ لأنه سبحانه بعثَ رسوله ﷺ إلى الثقلين في عصره وبعده إلى يوم القيامة كما قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَقَالَ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

وهكذا القرآن الكريْم لَمْ يَنْزل لأهل عصر النَّبي ﷺ، وإنَّما أنزلَ لَهُم ولمَن بعدهم ممَّن يبلغه كتاب الله، كما قَالَ تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ الآية.

وَكَان النساء في عهد النَّبي ﷺ لا يَختلطن بالرجال لا في المساجد، ولا في الأسواق الاختلاط الَّذي ينهى عنه المصلحون اليوم، ويُرشدُ القرآن والسنة وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذرًا من فتنته، بل كَانَ النساء في مسجده ﷺ يُصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال، وَكَان يقول ﷺ: «**خَيْرُ صُفُوف الرِّجَال أوّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوف النِّسَاءِ آخِرُهَا، وشَرُّهَا أوَّلُهَا**»[١].

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حذرًا من افتتان آخر صفوف الرجال بأول صفوف النساء، وَكَان الرجال فِي عهده ﷺ يؤمرون بالتريث فِي الانصراف حتَّى يَمْضي النساء، ويَخرجن من المسجد؛ لئلا يَختلط بِهن الرجال فِي أبواب المساجد مع ما هُم عليه جَميعًا رجالاً ونساء من الإيْمان والتقوى، فكيف بِحال من بعدهم!.

وكانت النساء ينهين أن يتحققن الطريق، ويؤمرن بلزوم حافات الطريق حذرًا من الاحتكاك بالرجال والفتنة بِمماسة بعضهم بعضًا عِنْد السير فِي الطريق، وأمر الله سبحانه نساء المؤمنين أن يُدنين عليهن من جلابيبهن حتَّى يُغطين بِها زينتهن حذرًا من الفتنة بِهنَّ، ونَهاهن سبحانه عن إبداء زينتهن لغير من سَمَّى الله سبحانه فِي كتابه العظيم حسمًا لأسباب الفتنة، وترغيبًا فِي أسباب العفَّة، والبعد عن مظاهر الفساد والاختلاط.

فكيف يسوغ لِمدير جامعة صنعاء -هداهُ الله وأَلْهَمه رشده- بعد هذا كله أن يدعو إلى الاختلاط، ويزعم أن الإسلام دعا إليه، وأن الْحَرَم الْجَامعي كالمسجد، وأن ساعات الدراسة كساعات الصلاة، ومعلوم أن الفرق عظيم، والبون شاسع لِمَنْ عقل عن الله أمره ونَهيه، وعرف حكمته سبحانه فِي تشريعه لعباده، وما بين فِي كتابه العظيم من الأحكام فِي شأن الرجال والنساء.

وكيف يَجوز لِمؤمن أن يقول: إن جلوس الطالبة بِحذاء الطالب فِي كرسي الدراسة مثل جلوسها مع أخواتِها فِي صفوفهن خلف الرجال!! هذا لا يقوله من له أدنى مسكة من إيْمان وبصيرة يعقلُ مَا يقول، هذا لو سلمنا وجود الحجاب الشرعي، فكيف إذا كَانَ جلوسها مع الطالب فِي كرسي الدراسة مع التبرج وإظهار الْمَحَاسن، والنظرات الفاتنة، والأحاديث الَّتي تَجر إلى فتنة، فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، قَالَ الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وأمَّا قوله: "والواقع أن المسلمين منذ عهد الرسول كانوا يؤدون الصلاة فِي مسجد واحد الرجل والمرأة، ولذلك فإن التعليم لابد أن يكون فِي مكان واحد".

فالجواب عن ذَلِكَ أن يقال: هذا صحيح، لكن كَانَ النساء فِي مؤخرة المساجد مع الحجاب، والعناية والتحفظ مِمَّا يسبب الفتنة، والرجال فِي مُقَدَّم المسجد، فيسمعن المواعظ والخطب، ويُشاركن فِي الصلاة، ويتعلمن أحكام دينهن مِمَّا يسمعن ويشاهدن.

وَكَان النَّبي ﷺ فِي يوم العيد يذهب إليهن بعدما يعظ الرجال فيعظهن ويذكرهن؛ لبعدهن عن سَماع خطبته، وهذا كله

لا إشكال فيه ولا حَرَج فيه.

وإنَّما الإشكال فِي قول مدير جامعة صنعاء -هداهُ الله وأصلح قلبه وفقهه فِي دينه-: "ولذلك فإن التعليم لابد أن يكون فِي مكان واحد". فكيف يَجوز له أن يشبه التعليم فِي عصرنا بصلاة النساء خلف الرجال فِي مسجد واحد، مع أن الفرق شاسع بين واقع التعليم المعروف اليوم وبين واقع صلاة النساء خلف الرجال فِي عهده ﷺ.

ولِهَذَا دعا المصلحون إلى إفراد النساء عن الرجال فِي دور التعليم، وأن يكنَّ عَلَى حدة والشباب عَلَى حدة، حتَّى يتمكنَّ من تلقي العلم من المدرسات بكل راحة من غير حجاب ولا مشقة؛ لأن زمن التعليم يطول بِخلاف زمن الصلاة.

ولأن تلقي العلوم من المدرسات فِي مَحل خاص أصون للجميع، وأبعد لَهُنَّ من أسباب الفتنة، وأسلمُ للشباب من الفتنة بِهن.

ولأن انفراد الشباب فِي دور التعليم عن الفتيات مع كونه أسلم لَهم من الفتنة فهو أقرب إلى عنايتهم بدروسهم، وشغلهم بِها، وحسن الاستماع إلى الأساتذة، وتلقي العلم عنهم بعيدين عن ملاحظة الفتيات والانشغال بِهن، وتبادل النظرات المسمومة والكلمات الداعية إلى الفجور.

وأمَّا زعمه -أصلحه الله- أن الدعوة إلى عزل الطالبات عن الطلبة تزمت ومُخالف للشريعة، فهي دعوى غير مُسلَّمة، بل ذَلكَ هُوَ عين النصح لله ولعباده، والحيطة لدينه والعمل بِمَا سبق من الآيات القرآنية والحديثين الشريفين.

ونصيحتِي لِمدير جامعة صنعاء أن يتقي الله ﷻ، وأن يتوبَ إليه سبحانه مِمَّا صَدَرَ منه، وأن يرجع إلى الصواب والحق.

فإن الرجوع إلى ذَلكَ هُوَ عين الفضيلة والدليل عَلَى تَحري طالب العلم للحق والإنصاف، والله المسئول سبحانه أن يَهدينا جَميعًا سبيل الرشاد، وأن يُعيذنا وسائر المسلمين من القول عليه بغير علم، ومن مضلات الفتَن ونزغات الشيطان، كما أسأله سبحانه أن يوفق علماء المسلمين وقادتَهم فِي كل مكان لِمَا فيه صلاح البلاد والعباد فِي المعاش والمعاد، وأن يَهدي الجميع صراطه المستقيم، إنه جواد كريْم.

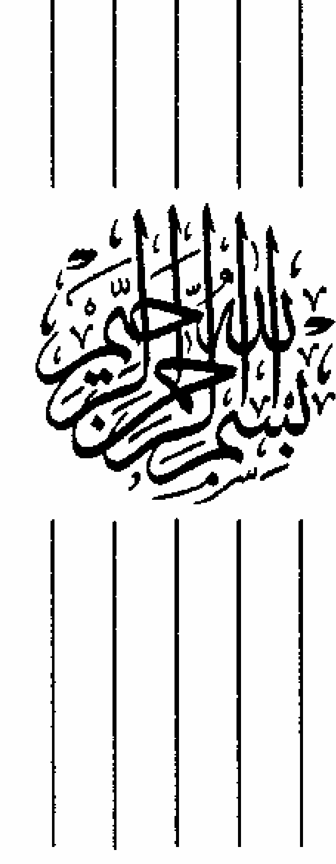
وصَلَّى الله عَلَى نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه والتابعين لَهُم بإحسان إلى يوم الدين.

صفحة فارغة في أصل الكتاب


الفهرس

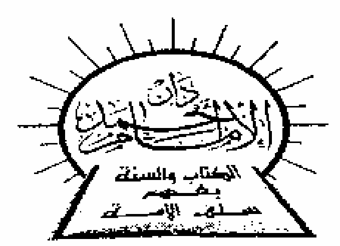
الفهرس

I.P.C المركز الدولي للطباعة
6979323
010/6665032
012/4179887



الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٤١٤٢٤٨ / ٠٠٢٠٢ تلفاكس: ٦٢٦٥٦٢٨ / ٠٠٢٠٢ محمول: ٠١٠٦٠١٤٩٧٨ / ٠٠٢

E-Mail: Dar _ Alemam _ Ahmad @ hotmail . Com

فضل العلم وأخلاق أهله

وأهميته في محاربة الأخلاق الهدامة

ويليه

حكم الاختلاط في التعليم



EMAIL :DAR_ALEMAM_AHMAD HOTMAIL.COM